جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة النِّيلين
كُلِّيَّة الدِّراسات العليا
قسم اللغة العربية

أثر الصوت في توجيه الدلالة

دراسة تطبيقية في (سورة النازعات)

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص "علم اللغة"

إعداد الطالب:
أحمد محمد علي شافي

إشراف:
د. محمد حمدين آدم محمد

العام الجامعي

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ *

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

﴿ سورة الرحمن من الآية ١-٤ ﴾

إهداء

إلى من أعلى الله تعالى ذكره، وجعله رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ، ثم إلى إخوانه من الأنبياء، والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا .

وإلى من غرسني برعماً في رحاب القرآن الكريم وسقاني غصناً في رياض العلم والتعليم . . .

إلى من ذلّل لي كل عقبة كؤود، فأنار لي السبيل لأسير في ظل جوده وكرمه وعطفه وطيبه ولمقامه الكريم الفضل أولاً وأخراً أن سلكت طريق العلم . . . والدي

وإلى الشجرة التي أظلتني بفيئها فتربيت في كنف حفظها وأمانها، وترعرعت في عز جودها وطيب كرمها . . . أمي الكريمة .

وإلى من بادلوني شعورهم بطيب قلوبهم . . . . إخواني وأختي الأعزاء .

وإلى من أغرقوني بجميل نطقهما وسامروني بحلو خصالهما . . . .

كل التقدير والعرفان

وإلى جميع هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع .

الباحث

شكر و عرفان

إن واجب العرفان بالجميل يدعوني إلى أن أتقدم أولاً بالحمد والشكر لله تعالى الذي اعانني على إكمال هذه الرسالة ثم بوافر الشكر والامتنان إلى فضيلة أستاذي الكريم الدكتور "**محمد حمدين** " الذي شُرفت بأن أكون أحد تلاميذه ثم على قبوله الإشراف على رسالتي مع كثرة ما تشغله من المشاغل تدريساً وإشرافاً ومتابعة، فلم يألُ جهداً في متابعة رسالتي خطوة بخطوة فرأيت منه حرصاً شديداً على طلبته تصحبه عاطفة أبوية يحنو بها على جميع تلامذته فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة النيلين كلية الآداب قسم اللغة العربية المتمثل برئيسة القسم الدكتورة (**سلوى عثمان أحمد**)، ثم للسادة المناقشين الذين ناقشوا هذه الرسالة وقوموها بآرائهم السديدة، بما قدموه من آراء سديدة أثناء المناقشة.

ولعل الشكر والعرفان قاصر أمام اهل بلدي العراق، والشهداء الذين ضحوا بأرواحهم ، ليستتب الأمن والأمان.

وأعمم شكري لكل من قدم لي معونة أو أسدى إلي معروفاً أو أبدى لي نصيحة أو خصني بدعوة صادقة مخلصة من قلب محب بظهر الغيب..... أسال الله أن يعينني على مكافأة الجميع.

الباحث

مستخلص البحث

تناول البحث موضوع **(أثر الصوت في توجيه الدلالة دراسة تطبيقية في سورة النازعات)** وهدف البحث إلى تبيين التوجيه الصوتي للدلالة، ورفد المكتبة العربية بمؤلف يسد نقصاً بها. اقتضت خطة البحث أن يكون في ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول تعريف الأثر لغة واصطلاحاً و مفهوم الصوت والحرف والفونيم ، ومفهوم الصوت اللغوي وكيفية حدوثه وأبعاده، أما الفصل الثاني فقد تناول علم الدلالة ومفهوم علم الدلالة وتطور الدلالة والتغير الدلالي، أمَّا الفصل الثالث فجاء فيه أثر الدلالة الصوتية في سورة النازعات كما جاء فيه أثر الدلالة الصوتية للمقاطع وأثر الدلالة الصوتية للتنغيم وتطبيقات عن أثر الدلالة الصوتية وأتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي. توصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها: إن للصوت أثراً مهماً في الدلالة عند النطق وهذا دليلاً على ثراء اللغة العربية و كثرة المفردات فيها، من الخصائص التي تتفرد بها اللغة العربية أن الزيادة في قوة الصوت وجهره تستدعي زيادة في الدلالة. ويوصي الباحث بإعطاء دراسة الصوت اللغوي في القرآن الكريم اللغة مزيداً من الاهتمام؛ لأنه تعين على فهم معاني القرآن الكريم.

Abstract

The research topic of (The Sound Effect in Guiding The ALnazeat"), the research aimed to indicating Significance in "Surat the voice guidance of the signifier , and fill the gap in the Arabian library by adding the works. The research plane required to be in three chapters, chapter one is about the linguistic and terminology definition of the influence, the concept of character and sound and phoneme, and the concept of linguistic sound and how it occurs and its dimensions. Chapter two is about semantics and its development and semantic change. Chapter three is about the influence of semantic in "SouratALnazeat" , the influence of semantic audio starks, influence of toning and applications about the semantic. The research concludes some results the most important is the sound has a signification of pronunciation and this is a sign that the Arabic language is wealth by the frequent vocabulary. One of the characteristic which the Arabic language uniquethat is the increase in the strength of the sound and its surface required semantic strong. The researcher recommended by give the Arabic language study more of attention, because it help to understand the meaning of Quran.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصَّلاة والسّلام على من أنزل عليه القرآن بلسان عربيَّ مبين، سيدنا محمَّد الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين ، فقد قال تعالى في محكم تنزيله : ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[1] ويقول تعالى في سورة النحل :﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[2] ، وأشكره على نعمهِ التي لا تُعدّ ولا تُحصى ، وأصلي وأسلّم على خاتم النبيين محمد بن عبد الله أبلغ العرب بيانا ، وأفصحهم لسانا .

فإنّ لعلم اللسان فضلاً كبيراً على إرساء البحث في علم الدلالة ووضع أصوله ، حيث أصبح علماً قائماً بذاته ،بعد أن كان ظلاً يسيراً في كنف العلوم الأخرى . بل هو فرع من فروع علم اللسان العام ، وأن المقصود بعلم الدلالة هو علم "دراسة المعنى" مما يدفعنا إلى القول بأنّ علم الدلالة ظهرت قبل ظهور علم اللغة ، وإن ظهر بشكل غير ممنهج ، أي أنه لم يكن لعلم الدلالة نظرية واضحة المعالم .

وهذا البحث في أثر الصوت في توجيه الدلالة في سورة النازعات، حيث تعد دراسة دلالة الاصوات من الخطوات الأولى في أية دراسة لغوية عند علماء اللغة ، لأنها تتناول الصوت لفظاً، ومعنى .

وقد أهتم الإنسان عبر تاريخه الطويل ، وفي فترة مبكّرة من حياة الحضارة البشرية بالظّاهرة الصّوتية ، ويعود ذلك في جوهره إلى دور الأصوات في اكمال النظام التواصليّ بين أفراد المجتمع البشري .

---

[1]- سورة يوسف ، الآية ٢ .
[2]- سورة النحل ، الآية ١٠٣ .

لقد كان للدرّس الصوتي في تراثنا العربي الأرضية الأساسية التي مهدت لعلم الأصوات لما امتاز به من دقة ، والعاملُ الأساسي الّذي ولّد الدّراسة الصوتية هو"القرآن الكريم" المعجزة الخالدة التي تحدى بها العرب، وقد توصل الأمر بالعلماء العرب إلى الارتحال الى البادية حتى يتمكنوا من التقاط الأصوات العربية من العرب الأقحاح على أصولها ، ويرجع سبب اهتمام العرب بهذا العلم لارتباط مادته بالقرآن الكريم . يُعد الدرس الصوتي من أهم فروع الدراسة اللغوية التي لا يمكن تجاهلها ، وأن أية دراسة لغوية لا تأخذ بعين الاعتبار الجانب الصوتي ، تُعد قاصرة ، لأنّ الأصوات هي الوحدة اللغوية الصغرى التي تُبنى عليها الكلمات والجمل والعبارات .

ونظراً لأهمية الدراسات اللغوية عامة والصوتية خاصة تولّدت لدينا رغبة في خوض غمارها من خلال البحث الموسوم بـ:الأثر الصوتي في الدلالة تطبيق في القرآن الكريم ، وموضوعه هو دراسة صوتية مؤسسة على قيم صوتية ودلالية ، نحاول استنطاق المعنى بالتوغل في بنية النسيج اللغوي صوتياً ودلالياً في محاولة جادة لنهل شيء من لغة القرآن الكريم ، وإظهار الأثر الصوتي والدلالي ، لآي القرآن الكريم الذي يعد ينبوعاً تستسقي منه الدراسات .

أهداف البحث:

١-إيلاء العناية للخطاب القرآني بالدراسة الصوتية .

٢-تأكيد العلاقة بين الصيغ الصوتية، والمعنى الدلالي.

٣-بيان سعة صيغ العربية، ومشتقاتها، وطرق توليد كلماتها .

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع:

١-إيماني بأنّ موضوع هذه الدراسة مرتبط بكلام الله عزّ وجلّ، وإبراز أهمية دلالة الأصوات اللغوية في سورة النازعات.

٢-بيان أهم الجوانب الفنية التي تتميّز بها سورة النازعات عن كلام البشر، فضلاً عن إظهار ذلك التناسق اللفظي.

٣-الوقوف على البنية الصوتية في سورة النازعات، من حيث الأصوات، والمقاطع، والتنغيم، إضافة إلى إظهار العلاقة بين الأصوات والدلالة. وما توحيه هذه البنية من دلالات مختلفة .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في كونه يتبع ظاهرة الصوت، وأثرها في الدراسات الدلالية للصوت، كما تكمن أهميته في أن يكون إسهاماً في واحد من اهم العلوم اللغوية وهو علم دلالة الأصوات ووصف الصيغ الصوتية وتحليلها والتدليل على أثر الصيغ الصوتية في تحديد المعنى، وتوسيعه .

مشكلة البحث

نحاول دراسة معالجة العلاقة بين الأصوات، والمعنى الدلالي في سورة النازعات.

الدراسات السابقة:

وجد الباحث ان الدراسات التي تناولت هذا الموضوع لكن من زوايا مختلفة كما في ادناه ...

١/ ليلى أحمد الزبير (ابن جني وجهوده اللغوية في الدلالة) جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية الدراسات العليا ، رسالة دكتوراه ، ٢٠٠٨م تناولت الباحثة في هذه الرسالة ترجمة ابن جني والحياة السياسية والثقافية في عصره ، كما تعرضت لأدلة البحث

اللغوي عند ابن جني ممثلة في السماع ، والقياس ، والتعليل من خلال آراء ابن جني ، كما قامت الباحثة باستعراض تعريف النحو عند القدماء وتعريفه عند ابن جني والتفريق بين النحو الإعراب، وأثر الاعراب في المعاني، واسهامات ابن جني في هذا المجال ، كما تناولت المباحث اللغوية عنده المتمثلة في نشأة اللغة ، والاشتقاق، والأصوات، والقراءات، واللهجات ورؤية، والأصوات، والقراءات، واللهجات ، تختلف دراستي عن دراسة ليلي احمد الزبير في تناولها لعلم من اعلام اللغة، واولة البحث اللغوي ، اما دراسة الباحث تناولت ابعاد الصوت والفونيم، والمورفيم، والتنغيم، والمقاطع.

٢/ فتح الرحمن النعيم آدم الحاج (الدلالة الصوتية عند ابن جني في ضوء علم اللغة الحديث) ٢٠١٢ م ،جامعة النيلين ، جاءت الدراسة عند أحد جهابذة اللغة العربية وجهوده في هذا العلم وهو ابن جني بهدف تقييمها وربطها وأثرها في الدراسات الدلالية للصوت عند اللغويين المحدثين وما وصلت إليه ، كما تكمن أهميته في أن واحد من أهم العلوم اللغوية والمعارف قديماً وحديثاً وهو علم دلالة الأصوات ، اتفقنا في تناولنا لصوت ولكن ما تميز به الباحث عن هذه الدراسة في تناول أثر الصوت في توجيه الدلالة.

٣/ عبد الله محمد عبد الله عبد الرسول (المستوى الدلالي بين ابن جني وعلماء اللغة المحدثين) ٢٠١٤م، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، أن معنى الدلالة في اللغة العربية يتصل اتصالاً وثيقاً بمعناها الاصطلاحي بل حتى بمفهومها كعلم، وابن جني وضع تصوراً عاماً للدلالة ليستغرق كل جوانبها بدءاً من علاقة اللفظ بالدلالة متمثلة في حديثة عن (الدلالة اللفظية) وعن (دلالة الصوت) مروراً بعلاقة الصرف متمثلة في حديثة عن (الدلالة الصناعية) وعلاقة النحو والسياق بالدلالة في حديثة (الدلالة المعنوية) التي تحتاج إلى غيرها في ظهورها ، هذه الدراسة تناولة الدراسة اللغة ومستوياتها عند ابني جني ومستوى أثر الصوت لانها في الإطار العام للدراسة الصوتية.

المنهج المتبع:

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي.

واقتضت طبيعة البحث أن نعرضه في ثلاثة فصول:

هيكل البحث:

المقدمة:نتكلم عن الأثر الصوتي والبحث الدلالي باختصار

الفصل الأول: الصوت

المبحث الاول :تعريف الأثر لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: مفهوم الصوت والحرف والفونيم

المبحث الثالث: مفهوم الصّوت اللغوي وكيفية حدوثه.

المبحث الرابع : ابعاد الصوت اللغوي

الفصل الثاني: علم الدلالة

المبحث الأول: مفهوم الدلالة.

المبحث الثاني: أنواع الدلالة .

المبحث الثالث: تطور الدلالة

المبحث الرابع:التغير الدلالي

الفصل الثالث: أثر الدلالة الصوتية في سورة النازعات

المبحث الاول: أثر الدلالة الصوتية للمقاطع

المبحث الثاني: أثر الدلالة الصوتية للتنغيم

المبحث الثالث: تطبيقات عن أثر الدلالة الصوتية

الفصل الأول: الصوت

المبحث الأول:تعريف الأثر لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني:مفهوم الصوت والحرف والفونيم.

المبحث الثالث:كيفية حدوث الصوت اللغوي.

المبحث الرابع: مخارج الأصوات.

تعريف الأثر لغة واصطلاحاً

أولاً: الأثر لغة

أورد ابن فارس اللغوي [١] في مادة (أثر) [٢] : الهمزة والثاء والراء ، لها ثلاث أصول : تقديم الشيء ، وذكر الشيء ، ورسم الشيء الباقي ، قال الخليل [٣]: لقد أثرت بأن أفعل كذا ، وهو هم في عزم . وتقول افعل يا فلان هذا آثراً ما ، آثر ذي أثير ، أي : إن اخترت ذلك الفعل فأفعل هذا إما لا . قال ابن الأعرابي : معناه افعله أول كل شيء . قال عروة بن الورد:

وقالوا مَا تشاءُ فَقلتُ أَلْهُو إلى الإصبْاحِ آثر ذي أثيرِ[٤]

والآثر بوزن فاعل

وأما حديث عمر [٥] : " ما خلفت بعدها أثراً ولا ذاكراً" فإنه يعني بقوله آثرا مخبرا عن غيري أنه حلف به، يقول لم أقل إن فلانا قال وأبي لأفعلن، من قولك أثرت الحديث، وحديث مأثور. وقوله: " ولا ذاكرا "، أي: لم أذكر ذلك عن نفسي[٦] .

قال الخليل: والأثر الذي يؤثر خف البعير، والأثير من الدواب: العظيم الأثر في الأرض بخفه، أو حافره[٧].

والأثر بقية ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقة. والأثار والأثر،

١- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين : من أئمة اللغة والأدب ، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان . أصله من قزوين ، وأقام مدة في همذان ، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها ، وإليها نسبته، من تصانيفه : مقاييس اللغة ، والصاحبّي في علم العربية ، مات سنة ٣٩٥ هـ الأعلام : خير الدين الزركلي ،ط١٠ ، بيروت . ١٩٩٢م ، دار العلم للملايين . ١٩٣/١،ج١،ص٥٣ .

٢- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام حمد هارون ، معجم مقاييس اللغة ، ط١ ،اتحاد الكتاب العرب ، (١٣٢٣هـ ٢٠٠٢ م / ٥٣) .

٣- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ، أبو عبد الرحمن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها . وهو أستاذ سيبويه النحويّ . ولد ومات في البصرة ، وله كتاب العين في اللغة وكتاب العروض ، ومات سنة ١٧٠ هـ .

٤- عروة بن الورد بن زيد العبسيّ ، من غطفان : من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجودها . كان يلقب بعروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم . له "ديوان شعر" شرحه ابن السكيت ، الأعلام للزركلي ٢٢٧/٢ .

٥- عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أمير المؤمنين مشهور جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، تقريب التهذيب : ص٢١٢ .

٦- معجم مقاييس اللغة ٥٣/١ .

٧- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين، نشر دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ٢٣٧/٨ .

كالفلاح والفلح، والسداد والسدد ، وأثر السيف ضربته، وتقول: " من يشتري سيفي وهذا أثره " يضرب للمجرب المختبر[١].

قال الخليل" المئثرة مهموز سكين يؤثر بها في باطن فرسن البعير، فحيثما ذهب عرف بها أثره، والجمع (مآثر) ، والأثر الاستقفاء والاتباع، وفيه لغتان أثر وإثر. ولا يشتق من حروفه فعل في هذا المعنى، ولكن يقال: ذهبت في إثره. ويقولون: " تدع العين وتطلب الأثر " يضرب لمن يترك السهولة إلى الصعوبة[٢] .

واستأثر الله بفلان: إذا مات وهو يرجى له الجنة وفي الحديث: « إذا استأثر الله بشيء فاله عنه»[٣] ، أي: إذا نهي عن شيء فاتركه، أبو عمرو بن العلاء: أخذت ذلك بلا أثرة عليك، أي: لم أستأثر عليك. ورجل أثر على فعل، يستأثر على أصحابه ، وآثرته بالشيء إيثارا، وهي الأثرة والإثرة ، والجمع الإثر ، والأثارة: البقية من الشيء ، والجمع أثارات، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾[٤] ....

ثانياً: الأثر اصطلاحاً

لم يبعد معنى الأثر الاصطلاحي عن معناه اللُّغوي كثيراً فقد ذكر الراغب الأصفهاني[٥] في مفرداته[٦] عنه ما يلي : أثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده، يقال: يقال: أثر وأثر، والجمع: (آثار). قال الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ**﴾[٧]،وقوله ﴿**وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ**﴾[٨] ، وقوله: ﴿**فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ**﴾[٩].

١- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ،ط١،بيروت، دار صادر٤/ ٥ .

٢- الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين، ٨/ ٢٣٨ مرجع سابق.

٣- المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ،تحقيق طاهر الزواوي ومحمود محمد الطناحي،بيروت ، ١٣٩٩هـ ، دار الكتب العلمية ٢٨٣/٤ ذكره أبو موسى المديني في "المجموع المغيث" (٣/ ١٦٥).

٤- سورة الأحقاف ، الآية ٤ .

٥- هو العلامة الماهر المحقق الباهر أبو القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل الاصفهانى الملقب بالراغب صاحب التصانيف ، كان من أذكياء المتكلمين ، له كتاب المفردات في غريب القرآن ، سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،ط٩، بيروت ط٩ ١٤١٣هـ ، مؤسسة الرسالة ١٢٠/١٨ .

٦- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن،بيروت، دار المعرفة، ص٦٢ .

٧- سورة الحديد ، الآية ٢٧ .

٨- سورة غافر ، الآية ٢١ .

٩- سورة الروم ، الآية ٥٠ .

ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدم : آثار، نحو قوله تعالى :
﴿ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[١] ، وقوله: ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي ﴾[٢] .
وقال تعالى ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾[٣] ، وقرئ: (أثرة) وهو ما يروى أو يكتب فيبقى له أثر[٤].

والمآثر: ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل، والإيثار للتفضل ومنه: آثرته، وقوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا علينا ﴾[٦] وقوله تعالى ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[٧] .

والاستئثار: التفرد بالشيء من دون غيره، وقولهم: استأثر الله بفلان، كناية عن موته، تنبيه أنه ممن اصطفاه وتفرد تعالى به من دون الورى[٨] .

وذكر الجرجاني[٩] أن الأثر له ثلاثة معان : الأول بمعنى النتيجة وهو الحاصل من شيء والثاني بمعنى العلامة والثالث بمعنى الجزء[١٠] .

وجاء في الكليات : يستعار { الاثر } للفضل والإيثار للتفضيل وآثرت فلانا عليك بالمد فأنا أوثره وأثرت الحديث فأنا آثره أي أرويه وأثرت التراب فأنا أثيره والأثر في اصطلاح أهل الشرع قول الصحابي أو فعله وهو حجة في الشرع[١١] .

١- سورة الصافات ، الآية ٧٠ .
٢- سورة طه ، الآية ٨٤ .
٣- سورة الأحقاف ، الآية ٤ .
٤- تفسير القرطبي ١٨٢/١٦ .
٥- سورة الحشر، الآية ٩ .
٦- سورة يوسف ، الآية ٩١ .
٧- سورة الأعلى ، الآية ١٦.
٨- المفردات في غريب القرآن ص٦٢ ،مرجع سابق.
٩- علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية ، ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فر الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي سنة ٨١٦هـ ، له نحو خمسين مصنفا، منها : كتاب التعريفات و شرح مواقف الايجي ، الأعلام للزركلي ٧/٥ .
١٠- علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، التعريفات ، ط١، بيروت ، ١٤٠٥هـ ،الناشر : دار الكتاب العربي ص٢٣ .
١١- أيوب بن موسى أبو البغاء الكفوي ، الكليات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ،بيروت ،١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة ص ٣٨ .

المبحث الثاني

مفهوم الصوت والحرف والفونيـم

إنّ الأصوات التي تدخل في عملية التّواصل اللّغوي الإنساني تختلف عن غيرها، إنّ هناك أصواتاً لغوية وأصواتاً غير لغوية كالصفير والأنين والحفيف والدّويّ وغيرها ، وللتمييز بينهما لا بد من التمييز بين الصوت بمفهومه العام والصوت اللغويّ .

الصّوت لغةً :

الصّوت لغة" الجَرْس والجَرْس مصدَر الصّوت المجروس . والجرس الصّوت نفسه ... وأجرسوا الجَرَس ، أي ضَربوا . وأجرَس الحَلْي ونحوه : إذا صوَّت كصوت الجَرَس " [١] [١] والجمع أصوات : ويقال صات يَصوت صوتاً ، فهو صائت، معناه صائِح . وقال ابن السّكيت : الصّوت صوت الإنسان وغيره. والصّائت :الصائح ، ورجل صيّت : أيّ شديد الصّوت "[٢].

وجاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠ هـ) في تعريفه للصّوت : " صوّت فلان بفلان تصويتاً أيّ دعاه. وصات يصوت صوتاً فهو صائت بمعنى صائح . ورجل صيّت : حسن الصّوت "[٣] . قال ابن جني (ت٣٩٢ هـ) : " الصّوت مصدر صات الشيء يصوت صوتاً فهو صائت ...وهو عام غير مختصّ ، يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار ، قال الله تعالى : ﴿**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[٤] ؛ أي : أقبح أقبح الأصوات صوت الحمير؛ لأن ذبذبات صوته ترفضها الأذن[٥].

---

[١] – الخليل بن أحمد الفراهيدي ،العين ، ج٦ ، ص٥١ .

[٢]– أبو الفضل جمال الدين بن منظور ،لسان العرب ، ج٧ ، ص٤٧٠ .

[٣]– الخليل بن أحمد الفراهيدي ،العين ، ج٢ ، ص٤٢١ . مرجع سابق

[٤]– سورة لقمان : الآية ١٩ .

[٥]– أبو الفتح عثمان بن جَنّي ، سرّ صناعة الإعراب ،تحقيق : حسن هنداوي ، ط١ ،دمشق ، سوريا ، ١٩٨٥ م ، دار القلم ، ج١ /ص٢٣ .

الصّوت اصطلاحاً:

الصّوت له علاقة باللّغة من الناحية الاصطلاحية، لأن اللغة ماهي إلا أصوات في أدائها . فالصوت حسب قول إخوان الصّفا : هو "شكل كروي ، ونقش يأخذه الهواء فيؤديه..." [١]. والصوت نوعان :خاص وعام " فالصوت العام هو الصّوت الطبيعي ، والصوت الخاص في اصطلاحنا هو الصوت اللُّغوي" [٢].

ويرى أبن سينا (٤٢٨ هـ) أنّ الصّوت:" سببهُ القريبُ تموّجُ الهواء دُفعة بسرعةٍ وبقوةٍ من أي سببٍ كان، والذي يُشترطُ فيه من أمرِ القرعِ عساهُ ألاّ يكون سبباً كلياً للصّوتِ ؛ بل كأنّه سبب أكثريٌّ ، ثمّ إن كان سببا كليّا فهو سبب بعيد ، ليس السببَ الملاصق لوجود الصّوت "[٣] .

ومن خلال هذا التعريف يتضح مدى إدراكه للظاهرة الفيزيائية من منظور علمّي فعبارة تموج الهواء تلقي الضوء على طبيعة الصّوت الموجّية ، وتشير إلى أنّ حركات الصّوت إنما هي حركة جزيئات الهواء ، التي تندفع بقوة محددة مرتبطة بقوة تأثير العامل الّذي يُحدث هذه الموجة،عرّف الصّوت أيضا بأنه "جنس لكلّ ما وقر في أذن السّامع "[٤].

وقد اعطى الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تعريفاً دقيقاً معتبراً إياه الهواء المنضغط عن قرع جسمين وهما ضربان:- ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه .وضرب بالفم في نطق وغير نطق [٥] .

فالصّوت هو الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء التي يطلق عليها (جهاز النطق) ، وهذا الانطباع السمعي الذي يصدر عن الأعضاء هو الذي يجعلنا نميز

---

[١]- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، لإخوان الصفا ، بيروت ، لبنان، دار بيروت ج٣/ ص٩٨ .

[٢]- حامد عبد الغفار هلال، أصوات اللغة العربية، القاهرة، مصر، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، مكتبة وهبة، ص٢٨.

[٣]- أبو علي بن سينا ، تحقيق ، محمد الطيّان ،أسباب حدوث الحروف ، ط٣، دمشق ، سوريا، / ١٩٨٣م ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ،ص٥٦ .

[٤]- أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس ،مقاييس اللّغة ، ط٢،لبنان،/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الجيل ، بيروت ، ،ج٣/ص٣١٨ .

[٥]- الرّاغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني،المفردات في غريب القرآن ، (د.ط)، بيروت ٢٠٠٤م ، دارالمعرفة، ص٢٨٨.

صوتاً عن آخر ، في نحو : (الكاف، والتاء، والباء) في (كتب) فأعضاء النطق تمثل العنصر الأول ، والأثر السمعي المتعلق بالصّوت من حيث انتقال موجاته في الهواء يمثل العنصر الثاني [١] " أما اذن المستمع التي تتلقى تلك الذبذبات ، فأنها من الناحية اللغوية تشكل العنصر الثالث"[٢]. فالصوت في انتقاله من المتكلم إلى السامع يتم وفق عملية فيزيائية تتضمن ثلاثة عناصر أساسية هي: [٣]،وجود جسم يهتز، وجود وسط ناقل الصادرة عن الجسم المتذبذب ، قد يكون الوسط الناقل غازياً (كما في حالة الصوت) ، أو سائلاً (كتواصل الحيونات البحرية فيما بينها) ، أو جسماً صلباً (كانتقال الذبذبات الصوتية هاتفياً من خلال السلك).

وجود جسم يستقبل الذبذبات ، فعند تموج الهواء ووصوله إلى الصماخ يحرك الهواء الراكد داخله ، فيهز الأعصاب السمعية المنتشرة داخله فيحدث السمع ، ويبين أثر الطرق الشديد على الأذن من وقوع الصوت .

والصوت في عمومه أعم من النطق ، إذ يدلّ الصوت على أثر سمعي في حين يدل

النطق على المقاطع الصوتية المركبة للكلام وأما العلاقة بينهما في علاقة التضمن[٤]*.

---

[١]– كمال بشر ، علم الأصوات ،(د.ط)، القاهرة ٢٠٠٠ م ، دار غريب ،ص٥٦ .

[٢]– خليل إبراهيم العطية ،البحث الصوتي عند العرب ،(د.ط) ، بغداد ، العراق ١٩٨٣م ، منشورات دار الجاحظ ،ص٦٠ .

[٣]– أحمد مختار عمر ، دراسة الصّوت اللغوي ، (د.ط)، القاهرة ، مصر ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م عالم الكتب ،ص٢١ .

[٤]– أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، (د.ط) ،الجزائر ، ١٩٩٤م، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص٩٨ .

(*) التضمن implication، إشراب لفظ معنى لفظ آخر ، وإعطاؤه حكمه ؛ لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين (أبن هشام عبد الله يوسف ، تحقيق : مازن مبارك ومحمد على حمد الله ، مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب ط٣:بيروت ، لبنان ، /١٩٧٢ م،دار الفكر ،٧٠٠.)

ثانياً: مفهوم الحرف

الحرف لغة : الحرف في اللغة هو : " الطرف والجانب ... وحرفا الرأس : شقاه، وحرف السفينة والجبل: جانبهما، والجمعُ أحرف وحروف وحِرَفَة " [١].

وورد في القاموس المحيط قوله:" الحرف من كلّ شيء حدّه وطرفه"[٢].

وجاء في الصحاح :" الحرف هو كلّ شيء طرفه وحدّه وشفيره وحدّه، ومنه الجبل وهو أعلاه المحددّ ، والحرف واحد حروف التّهجي ، قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾" [٣] قالوا على وجه واحد وهو أنْ يعبده على السراء دون الضّراء " [٤] . وهذا تمثيل للذين لا يعبدون الله على ثقة ويقين ، بل يكونون مذبذبين في قلق واضطراب ، كالإنسان الذي يكون على طرف من الجيش فإن أحس بظفر استقر وإلا فرّ " [٥] .

امّا ابن جنّي (ت٤٩٢ هـ) فيرى أنّ مادة (ح.ر.ف .) " أينما وقعت في الكلام يُراد بها حدّ الشيء وحدّته، من ذلك حرف الشيء إنما هو حدّه وناحيته ... ، ومن هنا سُمّيت حروف المجم حروفاً ؛ لأنها جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به"[٦] .

الحرف اصطلاحاً :

الحرف في المعنى الاصطلاحي له علاقة وطيدة بالصوت، فهو عند القدماء الصّوت ، ولهذا عرّفه ابن سينا (ت٤٢٨ هـ) بقوله : " الحرف هيئة للصوت عارضة

---

[١]- أبن منظور، لسان العرب،مادة (حرف)، ج٩ /ص٤١ ،مصدر سابق.

[٢]- محمد بن يعقوب الفيروزي ابادي ، تحقيق : يحيى مراد ،القاموس المحيط ط٢،القاهرة ، /١٤٣١هـ- ٢٠١٠م مؤسسة المختار ، ،ص٨١٦ .

[٣]- سورة الحج : الآية ١١.

[٤]- الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ،معجم الصحاح : ط٢، بيروت ،لبنان ، ٢٠٠٧ دار المعرفة ، مادة (ح.ر.ف) .

[٥] - محمد علي الصابوني ، صفوة التفسير ، ط٤، ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ م دار القرآن الكريم ، ج٢ /ص٢٨٢ .

[٦]- أبو الفتح عثمان بن جني ، سر صناعة الإعراب، ص٢٥.

يتميز بها عن صوت آخر مثلِه في الحدةِ والثقل تميزاً في المسموع " [١] . أما القرطبي (٦٦٢ هـ) فيعرّف الحروف بأنها مقاطع ، قائلاً :" فالحروف هي مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النَّفَس ممتداً مستطيلاً ، فتمنعه عن اتصاله بغايته " [٢] .

أما المحدثون فكانوا أكثر دقّة في تحديد المصطلح، إذ جعلوا الحرف مساوياً للصورة الرمزية الكتابية للصوت المنطوق المسموع، يقول رمضان عبد التواب :" الحرف هو ذلك الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة ، للتعبير عن صوت معين ، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى" [٣].

الفرق بين الصوت والحرف:

يرى الزجاجيّ (ت٣٣٧ هـ) أنّ العلاقة بين الصوت اللغوي والحروف علاقة ترادف، فيقول : " فأمّا الحرف المعجم فهي أصوات غير متوافقة ، ولا مقترنة ولا دالة على معنى من معاني الأسماء الأفعال والحروف إلّا أنها أصل تركيبها" [٤].

أمّا ابن سينا فقد فرّق بين لفظي الصّوت والحرف قائلاً: " والحرف هيئة للصّوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع "[٥].

ويحدد ابن جني الفرق بين الصوت والحرف حينما يقول "اعلم أنّ الصوت عَرَض يخرج مع النفَّس مستطيلاً متّصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتدادِه واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً ، وتختلف أجراس الحروف بحسب

---

[١]- أبو علي الحسين بن سينا ،أسباب حدوث الحروف، ص١٠٥، مصدر سابق.

[٢]- عبد الوهاب القرطبي ، تحقيق : غانم قدور الحمد ، الموضح في التجويد،ط١ ،الأردن ،١٩٩٨م ، دار عمان،ص ٧١ .

[٣]- رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ط٣،القاهرة ، مصر ، ١٩٩٧ م، مكتبة الجانجي ، ص٨٣ .

[٤]- أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق: مازن مبارك ،الإيضاح في علل النحو ، ط٤ ،بيروت ، لبنان ،١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م ، دار النفائس ، ،ص٥٤ .

[٥]- أبو علي بن سينا ،أسباب حدوث الحرف ، ص ٦٠ ،مصدر سابق.

اختلاف مقاطعِها ... ألا ترى أنك تبتدئ الصّوت من أقصى حلقك ثمّ تبلغ به أيّ المقاطع شئت ، فتجدُ له جَرْساً ما " [١] .

أما المحدثون فحالوا إبراز الفرق بين المصطلحين، فقد ذهب عبد العزيز الصيّغ إلى القول يصف بعض المحدثين الحروف:" حيل أو وسائل كتابية تستخدم لتمثيل النّطق وتصويره"[٢]

ويقول تمام حسان في هذا الصدد : " ومثل الأصوات والحروف في علاقة كل منها بالآخر مثل الطلاب والصفوف ، فالطالب حقيقة مادية والصّف وحدة تقسيمية ... لأن الحرف عنوان على عدد من الأصوات والصّف مثله عنوان على عدد من الطلبة ، أي أنّ الصوت والطالب حقيقتان ماديتان والحرف والصّف قسمان من نظام يضم غيرهما من الأقسام [٣] .

فالصوت سلسلة من الذبذبات الهوائية والحروف إيقاف لهذا الصوت وقطع له ؛ وعليه فالحروف منتهى الصوت وغايته .

ويرى كمال بشر أن" الحرف رمز ووسلية كتابية، تُستخدم لتمثيل النّطق وتصويره ، وعليه فإنه يُنظر إليه في إطار نظام الكتابة الإملائية . أما الصّوت فهو الأثر السمعي أو الحدث النطقي الذي يصدر طواعية من أعضاء النطق ويدرس في إطار النظام الصوتي للغة " [٤].

---

[١]– جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ،الأشباه والنظائر ، ط١ ، بيروت ، لبنان،١٤١١هـ – ١٩٩٠ م، دار الكتب العلمية ، ج٢/ص٧ .

[٢]– كمال بشير ، دراسات في علم اللغة ، ص٧٦،مرجع سابق.

[٣]– تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، (د.ط) ، مصر ، ١٩٧٩ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٧٤ .

[٤]– كمال بشر ،دراسات في علم اللغة ، ص١٧ ، مرجع سابق.

وبعد هذا العرض تبين أنّ الدرس اللساني الحديث يعتمد على الحروف مقابل الصوت في كونه هيئة له، والحرف مجموعة من العناصر المحسوسة، أما الصوت فيعدّ مادة الحرف؛ومن ثم فالصوت هو الأصل .

ثالثاً: مفهوم الفونيم .

إلى جانب مصطلحي الصوت والحرف نجد في الدراسات اللسانية الحديثة مصطلحاً ثالثاً ، وهو الفونيم الذي يعدّ أساس التحليل الفونولوجي الحديث ، وكان أوّل ظهـــور للمصطلح حسب أحمد مختار عمر سنة ١٨٧٣ من قبل (Defrichdesgenete) في اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية[١].

فالفونيم "أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني "[٢]، وهذه الوحدة الصوتية تبعث اختلافات صرفية ونحوية، ومفهومية ودلالية ، ففي قولنا : (ضربتُ ، وضربتَ ، وضربتِ) حمل صوت (التاء) المتحرك معاني نحوية مختلفة دلت الأولى على الشخص المتكلم ، والثانية على المذكر المخاطب ، والثالثة على المؤنثةالمخاطبة ، وفي : جاء (ذو الفضل) ، و(رأيت ذا الفضل) ، و(مررت بذي الفضل) تحمل ذو ، ذي معنى معجمياً أي اسم الذات للذكور ، ومعنى نحوياً أي حالات الرفع، والنصب، والجر[٣] .ولهذا نجد مصطلح الفونيم أوسع دلالة عند المعاصرين من مدلول الحرف في العربية ؛ لأنه يشمل الحرف والحركة .

---

[١]- أحمد عمر مختار ، دراسة الصوت اللغوي، ص١٦٩ ، مرجع سابق.

[٢]- حسام بهنساوي ، علم الأصوات ، ط١، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص١٢٣ .

[٣]- ريمون طحان ،الألسنية العربية ،بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ م، دار الكتب اللبناني، ص٦٢ .

ويرى أحمد مختار أنّ " الفونيم ذو طبيعة صوتية وتعقيد التركيب الصوتي للغة ما يُعدّ أهم العوامل لاكتساب المتعلم للغة نطقاً جيداً " [١].

أمّا تمام حسان فيرى :"أنّ الفونيم مجموعة أصوات ، وأنّ هذه الأصوات لا تتبادل المواقع ما دامت منتمية إلى فونيم واحد وأعضاء متعددة (Phonems) كالنون وقد يكون أكثر وروداً ، فالأستعمال كصوت النون اللّثوي في مقابل بقية أصواتها"[٢] .

ومن خلال هذه التعريفات نستنتج بعض الخصائص المميزة للفونيم :

١. الفونيم أصغر وحدة صوتية .
٢. هذه الوحدة الصوتية الصغرى لها القدرة على التمييز بين المعاني المعجمية للكلمات .
٣. قدرتها على تمييز المعاني تظهر من خلال تقابلها مع بقية الوحدات الاخرى "فحين توضع جنباً إلى جنب تشكل وحدات دلالية أكبر منها وهي المورفيم (Morpheme) [٣]فالكلمة ثم الجملة " [٤].
٤. أن الفونيم مفهوم صوتي . وإذا عرفنا الفونيم فهناك مصطلحات يجدر بنا أن نعرفها:

---

[١]- أحمد عمر مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، ص٢٣٥ ، مرجع سابق.

[٢]- تمام حسان ،مناهج البحث في اللغة ، ص١٥٨ ، مرجع سابق.

[٣]-المورفيم Morpheme : هو أصغر وحدة في بنية الكلمة تتحمل معنى ، أو وظيفة نحوية ، ولا يمكن أن تقسم هذه الوحدة إلى وحدات أصغر منها دون الانتقال إلى المستوى الفونولوجي . وأن يكون الوحدة الدلالية الصغرى يمكننا من التمييز بين المورفيم المعجمي والمورفيم النحوي . مثل : سيذهبون .(سـ) : مورفيم يفيد انتماء الحدث للزمن الآتي . (يـ) مورفيم يشير إلى أنّ فعل ذهب : مضارع وله معنى ثان وهو إسناد الفعل للضمير الغائب "هم" . (ون) : مورفيم يفيد تصريف الفعل في المضارع المرفوع مع ضمير الضمائر الجمع .(ذهب) : مورفيم معجمي يفيد معنى الذهاب . (نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة ،٢٠٠٨م ، دار الفتح ، ص١٤١- ١٤٢ .)

أما المورفيم عند علماء الغرب يعبر به عن أصغر وحدة لغوية ذات معنى ، وقسموا هذه الوحدة إلى نوعين: الأول (المورفيم الحرّ) أي الذي يمكن استعماله كوحدة مستقلة في اللغة نحو : رجلٌ ، نام ، جبل ، كبير ، إلى ، حضارة ... والثاني (المورفيم المقيد) ، وهو الذي لا يمكن استعماله منفرداً بل يجب اتصاله بمورفيم حرّ أو مقيد ، مثل : الألف والنون للدلالة على المعنى المثنى (ولدان)، الواو والنون للدلالة على معنى الجمع والتذكير ، كما في كلمة (ملعون) .(نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٨م ، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب ، ص٢٧٦) .

[٤]- أحمد عمر مختار ،دراسة الصوت اللغوي ، ص٢٧٦ ، مرجع سابق.

أ. **الألفون(Allophne)** : وهو عنصر من عناصر الفونيم تغييره لا يغير المعنى ، ويمكن أن يكون اختيارياً كتعدد صور الجيم، والقاف من بيئة إلى أخرى ، ويمكن أن يكون إجباريا تحدّده مواضع معينة في السياق ، فلا يجوز أن يحلّ عنصر محل آخر ومثاله تفخيم اللام في لفظ الجلالة (الله) وترقيقها إذ لكلّ من ذلك موضع معروف لا يتعداه إلى غيره[١].

ب.**فون (phone)** : وهو الصوت اللغوي المفرد البسيط الذي يمكن له أن يخضع للقياس، والتحليل الآلي في معامل علوم الأصوات [٢] .

الفرق بين الصّوت والفونيم:

إذا كان الصوتان من اللغة نفسها ويظهران في الإطار الصوتي نفسه ، وإذا حلّ أحدهما محل الآخر دون أن ينتج اختلاف في المعنى ، فهذان الصوتان صورتان لفونيم واحد (كالجيم) التي لها صور صوتية متعددة، يمكن لإحداها أن تحلّ محلّ الأخرى دون تغيير في المعنى كنطق الجيم في (جميل) معطشة قريبة من الشين عند الشاميين ونطقها في الكلمة نفسها خالية من التعطيش وقريبة من (g) عند القاهريين ونطقها قريبة الى الوصف الصوتي عند علماء التجويد في قراءة القرآن فيما ندعو بها لجيم الفصيحة [٣] . وترى نور الهدى لوشن أنّ:" الفونيم صوت،وليس كلّ صوت فونيما " [٤] .

---

[١]– قدور أحمد محمد ،مبادئ اللسانيات، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، (د.ط) / ١٩٩٦ م ، ص١٠٦ .

[٢]– أحمد حساني ،مباحث في اللسانيات، ص٧٠ ، مرجع سابق.

[٣]– أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص١٠٢ مرجع سابق.

[٤]– نور الدين لوشن ،مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ،ص ١٢٤، مرجع سابق.

المبحث الثالث

كيفية حدوث الصوت اللُّغوي

أولاً: مفهوم الصوت اللغوي

إنّ الطبيعة الإنسانية تقتضي بالضرورة العضويّة ، والنفسية ، والاجتماعية استعمال الصوت لتحقيق عملية التواصل ، لذا فالصّوت اللّغوي في التراث العربي ليس جديداً ، فالذي يثبته حقل البحث اللغوي،و أنّ الخليل بن أحمد هو أوّل من درس علم الأصوات ، وهذا ما جاء في كتابه المشهور "كتاب العين" فكان بذلك الرائد والمؤسس ، وجاء من بعده سيبويه ، ثم ابن جنّي ، وغيرهما من جهابذة اللّغة العربية . وهكذا فليس جديداً القول بسبق العرب إلى تأصيل الصّوت اللغوي وإطلاعهم بأعباء المصطلح الصّوتي منذ القِدم .

ومن بين علماء اللّغة العربية القدماء اللذين تعرّضوا للصوت اللغوي ، الجاحظ (ت٢٥٥هـ) فهو يعرف الصّوت اللغوي بأنه : " آلة النطق ، والجوهر الّذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثورا إلا بظهور الصـــوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيــع والأليــف " [١]. يقصد الجاحظ هنا بلفظ الصّوت ؛ "الحرف" و"الصّوت" معا ، على اعتبار أنّه أساس بناء اللّفظ والكلام .

وبعد الجاحظ نجد صاحب الخصائص ابن جني (ت٣٩٢ هـ) معرفاً الصوت اللّغوي قائلاً:" الصوت عرضٌ يخرج مع النّفس متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً ، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها "[٢] .

---

[١]- عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، البيان والتبيين ،(د.ط) ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ، مكتبة الخانجي ، ج١ص٥٨ .

[٢]- أبو الفتح عثمان بن جني ،سر صناعة الإعراب ، ص٦ ، مرجعسابق.

أمّا المحدثون فقد نظروا إلى الصّوت اللغوي على أنّه "أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماه تجاوزا أعضاء النّطق . والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدّلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة . ويتطلب الصّوت اللغوي وضع اعضاء النّطق في أوضاع معينة محددة أيضا، ومعنى ذلك أنّ المتكلم لابدّ أن يبذل مجهوداً ما لكي يحصل على الأصوات اللغوية"[١] .

ونجد أيضاً من المحدثين تمام حسان الذي يعرّف الصوت اللغوي قائلاً :إنه حين يتكلم المتكلم نلاحظ أنه يقوم بحركات خاصة بفكّة الأسفل، وشفتيه، ولسانه، ونلاحظ كذلك أنّ أثراً سمعياً معينا يصل إلى آذاننا فنفهم انّه مرتبط بهذه الحركات التي في فم المتكلم . هذا الأثر السمعي لا يبدوا في مظهر ذبذبة مستمرة طويلة غير معدلة ، كالتي نسمعها من صفارة الإنذار أو من صفارة القطار ، وإنما هي معدلة بمقدار ما يصاحبها من حركات الفم[٢].

أمّا مناف مهدي محمد فقد عرّف الصّوت اللّغوي بقوله:" هو أثر سمعي يصدر إرادياً عن أعضاء النّطق، وهو يتطلب أوضاعاً محدّدة وحركات معينة لهذه الأعضاء " [٣] .

ليس كلّ ما يصدر من الإنسان من صوت يمكن أن يقال إنّه صوت لغوي، فالجهاز النطقي للإنسان قادر على إنتاج أصوات كثيرة ، كما أنه قادر على إنتاج أنواع من الضجيج والضوضاء ، ولكي يكون الصّوت لغوياً ، يجبُ أن يكون حاملاً لمعنى معين وينقل رسالة محددة من عقل إنسان الى آخر[٤].

---

[١]– كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص٦٤ ، مرجع سابق.

[٢]– تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة، ص٧١ مرجعسابق.

[٣]–مناف مهدي محمد الموسوي ، علم الأصوات اللّغوية ،ط١ ،بيروت ، لبنان ١٩٩٨م ،عالم الكتب ،ص٢٨ .

[٤]– ماريو باي ترجمة ، أحمد مختار عمر ، أسس علم اللغة ، (د.ط) ، القاهرة ، مصر ، / ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، عالم الكتب ، ،ص٣٨ .

ثانياً: كيفية حدوث الصّوت اللغوي.

يحدث الصوت اللغوي "عندما يستعد الإنسان للكلام العادي ، فيستنشق الهواء ، فيمتلىء به صدره قليلاً ، وإذا أخذ في التكلم فإن عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتي، ثم تتقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات ، وتواصل عضلات البطن تقلصاتها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى ، فإذا فرغ منها فإنّ عملية الشهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة ، استعدادا للنطق بالجملة التالية وهكذا ..."[١].

وتنظم عملية إصدار الصوت اللغوي عبر خمسة أحداث متتالية مترابطة يقود بعضها إلى بعض حتى تتم الدائرة بين المتكلم والسامع في أبسط موقف من المواقف اللغوية ، وهذه المراحل أو الأحداث بترتيب وقوعها هي " [٢]:

١. الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلم قبل وإثناءه.
٢. عملية إصدار الكلام، والتي تتمثّل في أصوات ينتجها ذلك الجهاز السمعي جهاز النطق.
٣. الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين المتكلم وأذن السامع ، بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء الجهاز النطقي .
٤. العمليات النّفسية والأحداث التي تجري في ذهن السامع عن سماعه للكلام .
٥. العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي بوصفها ردة فعل مباشرة لتلك الموجات[٣].

---

[١]- أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص١١١ ، مرجع سابق.

[٢]- محمود السّعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،(د.ط) ، بيروت ، لبنان (د.ت)، دار النهضة العربية ، ص١٨٧ .

[٣] - المصدر نفسه،ص١٨٨ .

ثالثاً : خصائص الصّوت اللّغوي

تحدد خصائص الصّوت اللّغوي من مجمل التغيرات المحتملة التي تحدث في جهاز النطق من غير تحديد لصوت بعينه، فمجمل هذه التغيرات في سبع نقاط:

١. مصدر حركة الهواء واتجاهها : مصادر حركة الهواء متعددة وكذلك الاتجاهات ، ولكن معظم الأصوات يتم إنتاجها بالهواء الرئوي متجه إلى الخارج.
٢. وضع الطبق اللين:" للطبق اللين وضعان ، فهو إما يكون مغلقاً أو مفتوحا، فإن كان مغلقا يكون الصوت فموياً ، وإن كان مفتوحاً يكون الصوت أنفيا"[١].
٣. تحديد عضو الإنتاج المتحرك.
٤. تحديد عضو الإنتاج الثابت. أعضاء إنتاج الصوت اللغوي فيها المتحرك وفيها الثابت، ومعظم الأعضاء الثابتة متصلة بالفك الأعلى غير القابل للحركة، والمتحركة تستقر على الجزء الأسفل أو على أرضية التجويف الفموي[٢].
٥. وضع مؤخر اللّسان: إنّ وضع مؤخر اللّسان يحدد نوع الصوت من حيث التفخيم والترقيق

أ/ معايير تصنيف الأصوات العربية.

يطلق علماء اللغة على الآثار السمعية التي تصل للمتكلم نتيجة لعملية الكلام اسم الصوت اللّغوي، ولأصوات أيّ لغة عدّة تقسيمات، ولكن أساسها التقسيم الثنائي المعروف:

١- الأصوات الصامتة[٣]

٢-أو الساكنة[٤] (CONSONES) ، مثل : (ب- ت-ث - ج- خ ...) .

١- أحمد مختار عمر ،دراسة الصوت اللغوي ،ص١٣٠ مرجع سابق.

٢- المصدر نفسه ، ص١٣١- ١٣٢ .

٣-ممّن سمّى هذا الصنف بالأصوات الصامتة المستشرق الألماني برجشتراسر (التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ،ص٣).

٤- إبراهيم أنيس، وممّن سمى هذا الصنف بالأصوات الساكنة.(الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، ص٤٥) .

الأصوات الصائتة : وقد أطلق عليها الخليل اسم الحروف الهجائية ، وذلك "لأنّها تخرج من هواء الجوف دون أن تقع في مدارج اللّسان أو الحلق أو اللّهاة "[١].

أمّا ابن جني فقد سمّاها بالحروف المصوتة [٢] ، وتسمّى أيضاً الحركات أو أصوات العلّة أو أصوات اللّين (VOYELLES) . فهي في العربية [٣] :الفتحة / ـَـ /و الضمة /ـُـ/ والكسرة /ـِـ/

أ. والفتحة الطويلة / ـَـــ ا / : وهي ألف مسبوقة بفتحة .

ب.والضمة الطويلة / ـُـــ و / : وهي مسبوقة بضمة .

ج. والكسرة الطّويلة / ـِـــ ي / : وهي ياء مسبوقة بكسرة .

وأساس هذا التقسيم قائم على طبيعة الأصوات وخواصها المميّزة لها ، وذلك بالتركيز على خاصتين مهمتين :

١-وضع الأوتار الصوتيّة .

٢-طريقة مرور الهواء.

وبالنظر في هذين التقسيمين معا ، وُجد أنّ الأوتار الصوتية تكون غالباً في وضع الذبذبة عند النطق بالحركات ، وأنّ الهواء في اثناء النطق بها يمرّ حرا طليقاً من خلال الحلق والفم [٤] . ويبني أيضاً على أساس "وجود حبس أو تضييق في مجرى الهواء عند النطق بالصوامت ، وعدم وجود أي حبس أو تضييق عند النطق بالصوائت ، وهذا هو الأساس المعول عليه كثيراً لدى أكثر الدارسين "[٥] .

---

[١]- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، ج١/ص٧٥ مصدر سابق.

[٢]-أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ج١٢٤/٣،مصدر سابق..

[٣]- عصام نور الدين ، علم الأصوات اللّغوية ، ص١٩٦ ، مصدر سابق.

[٤]- كمال بشر ، علم الأصوات، ص١٤٩-١٥٠، مصدر سابق.

[٥]- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص٥٨٩ ، مصدر سابق.

يُعد هذا التصنيف أوليا وأساسيا لأصوات أية لغة ، تليه تصنيفات أخرى تتعين من جملة الخصائص التي تتميز بها الأصوات . فتقسّم الصوامت والصوائت بدورها إلى مجموعات جزئية ، بها يُعرف بناء اللّغة الصوتي ونظامها الفنولوجي .

وقد عرف العرب قديما هذا التصنيف ، فقسّموا الأصوات إلى صوامت وصوائت: "الأصوات الصامتة يطلقون عليها الحروف ، وهذه الحروف هي التي أولها عناية خاصة ، ووجهوا إليها معظم جهودهم وبحوثهم الصوتية ، فهي التي أخضعوها للتصنيف والتقسيم دون الحركات ، وهي التي نظروا فيها نظرا جادا من حيث مخارجها وصفاتها المختلفة"[١] لكن هذا لا يعني بالضرورة إهمالهم لدراسة الحركات تماما فـ"لا نعدم أن نعثر على أقوال متناثرة هنا وهناك ، تشير إلى شيء من خواص الحركات وصفاتها ، فالحركات إنّما سُميت كذلك على رأيهم لأنها تُحرك الحرف وتقلقله ، أو كما قال بعضهم ؛ لأنّها تجذبه نحو الحروف التي هي أجزاؤها ، فالفتحة تجذبه نحو الألف ، والكسرة نحو الياء ، والضمة نحو الواو ، ولكن هذا التفسير كما نرى أقرب إلى أن يكون تعليلاً لتسميتها بالحركات من كونه بيانا وتوضيحا لخواصها "[٢] .

ووضع علماء العرب المحدثون تقسيمات عديدة لكلّ قسم " فهما عند إبراهيم أنيس(أصوات ساكنة وأصوات لين) ، وعند محمود السعران (صوامت وصوائت)، وعند تمام حسان (أصوات صحيحة وأصوات علّة) ، وعند كمال بشر(أصوات صامته وحركات) وعند صالح القرمادي (حروف وحركات) ، وعند أحمد مختار عمر (سواكن وعلل) ، وعند أحمد نخلة (صوامت وصوائت) وعند رمضان عبد التواب(أصوات صامتة وأصوات متحركة) وعند عبد الرحمن الحاج صالح (حروف جوامد وحروف مصوتة)"[٣].

---

[١]– كمال بشر ،علم الأصوات، ١٥٣ ،مرجع سابق.

[٢]– المرجع نفسه : ١٥٥ .

[٣]– رابح بوحوش ، البنية اللّغوية لبردة البوصيري،الجزائر ، ١٩٩٣ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص١٨ .

إنّ تقسيم اللّغويين المحدثين لا يختلف كثيراً عن تقسيم اللّغويين القدامى إلاّ في وضع بعض المصطلحات العلميّة أو في دقّة تحديد مخرج الصوائت مع الزمن المستغرق لنطقها وتحديد الفرق بينها وبين الصوامت.

ويمكن تشبيه علاقة الصّائت بالصّامت ، بالروح من الجسد ؛ وأقل منها ، تشبيه بالعضلات في الجسد ، فإذا كنا لا نتصوّر جسما حيّا بلا روح ، ولا جسما متحركاً بلا عضلات ، فإن لا يمكننا هنا ، أن نقرّ بوجود صامت منطوق ، بدون صائت يعمل على إيجاده وتحريكه [١] .

ب/ الأصوات الصامتة (السواكن) في اللّغة العربية

١- مفهوم الأصوات الصامتة:

تعرّف الأصوات الصامتة بأنها :" الصّوت المجهور ، أو المهموس ، الّذي يحدث أثناء النّطق به اعتراض، أو عائق في مجرى الهواء ، سواء أكان الاعتراض كاملا في نطق الصوت مثل الدال ، أو كان الاعتراض جزئياً كما في الشين ..."[٢] ويسمّيها بعض المحدثين الأصوات الحبسية[٣] ، وهي الأصوات الناتجة عن حبس تيار النّفَس عند النّطق بها وإعاقته في أحد مواضع النّطق إعاقة خفيفة أو شديدة[٤]. والأصوات التي ينطبق عليها هذا التعريف هي الحروف الهجائية الثمانية والعشرون في اللغة العربية ، وهي :(أ.ب.ت.ث.ج.ح.خ.د.ذ.ر.ز.س.ش.ص.ض.ظ.ع.غ.ف.ق.ك.ل.م.ن.هـ.و.ي).

٢ – انواع الأصوات الصامتة :

وقد صنف علماء الأصوات الصوامت بناء على أسس ثلاثة رئيسية ، هي :

---

[١]– إشراف عبد المالك مرتاض ، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية : إعداد مكي درار ، رسالة دكتوراه الدولة ، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م ، جامعة زهران – ص١٨٨ .

[٢]– كمال بشر،علم اللغة العام ، ص٩٢،مرجع سابق.

[٣]– محمد الأنطاكي ، الوجيز في فقه اللغة ،ط٤، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، دار العربي ،ص١٦٠ .

[٤]– محمود السّعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص١٦٠، مرجع سابق.

١. وضعية الأوتار الصوتيّة .

٢. مواضع النّطق أي المخارج .

٣. حالة مرور الهواء والموانع التي تعترضه عند النطق [١].

تصنيف الصوامت باعتبار وضع الأوتار الصوتية :

تصنف الأصوات الصامتة بحسب ذبذبة الأوتار أو عدم ذبذبتها أثناء عمليّة النطق إلى أصوات مجهورة (Sonores) ، وأصوات مهموسة (Sourds) وذكر كمال بشر أنّ هناك تصنيفا ثالثا وهو أصوات لا مهموسة ولا مجهورة [٢].

قد ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض خلال عملية مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يعترض طريقه أي شيء ، ومن ثمّ لا يتذبذبان ، فما يحدث في هذه الحالة يمكن أن نصطلح عليه بالهمس " نقول هذا صوت مهموس وذلك ما ينتج عن غياب اهتزاز الوترين " والأصوات المهموسة في اللغة العربية ، هي : (ت . ث ح. خ . س .ش . ص . ط . ف . ق . ك . هـ)= ١٢ صوتاً [٣] .

قد يقترب الوتران الصوتيان بعضهما من بعض أثناء مرور الهواء وأثناء النّطق فيضيق الفراغ في هذه الحالة ببينهما بحيث يسمح بمرور الهواء ولكن مع إحداث اهتزاز وذبذبات سريعة منتظمة لهذه الأوتار ففي هذه الحالة يحدث ما يسمّى بالجهر (نقول هذا صوت مجهور وذلك ما ينتج عن اهتزاز الوترين الصوتين أثناء النّطق ببعض الأصوات) والأصوات الصامتة المجهورة كما ننطقها اليوم في لغتنا العربية هي : ب ، ح ، د ، ج ، ذ ، ر ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن ، والواو في نحو (ولد وحوض) والياء في نحو

---

[١]– محمود السّعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص١٦٠ ، مصدر سابق.

[٢]– كمال بشر، علم الأصوات،ص٢٤٣ ، مصدر سابق.

[٣]– المرجع نفسه ، ٢٤٤.

(يترك ، بيت) = ١٥ صوتاً[١] . لاكتشاف جهر الصوت وذلك بأن تمسك حنجرتك برفق برفق بإبهامك وسبابتك ، ثم انطق على التوالي الصوتين (ذ ، س) فستحس اهتزاز في الحالة الأولى ، وذلك لتحرك عضلات الحنجرة في حالة الصّوت المجهور .

وقد أضاف علماء العربية الطاء والقاف والهمزة إلى الأصوات المجهورة وأخرجوها من الأصوات المهموسة ، وهذا الّذي قالوا لا يوافق نطقنا الحالي لهذين الصوتين [٢] .

قد ينطبق الوتران انطباقا تاما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدة الانطباق ومن ثم ينقطع النفس ثم يحدث أن ينفرج هذان الوتران فيخرج صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الّذي كان محبوساً حالا للانطباق التّام ، هذا الصوت هو همزة القطع ، فهمزة القطع العربية إذن صوت صامت لا هو مهوس ولا بالمجهور[٣].

أما علماء الأصوات القدماء فقد وصفوا ظاهرتي الجهر والهمس بكل اقتدار معتمدين على تذوقهم للّغة وإحساسهم الفطري بأصواتها ، وقسّموا الأصوات إلى مجهور ومهموس تقسيماً دقيقاً اتفق مع ما ذهب إليه المحدثون ، وحين فرّقوا بين الأصوات المجهورة والمهموسة ، لم يشيروا إلى وضع الأوتار الصوتيّة ، ولم يعتمدوا على أوضاعها في تحديد الجهر والهمس ، كما فعل الدّارسون المحدثون ، بل كان اعتمادهم على مصطلحات ذكرها سيبويه ، وردّدها من جاء بعده [٤] . كما يذكر أنّ تعريفاتهم للجهر والهمس تتّسم بالصعوبة والتعقيد إلى حدّ أنّه ليس من السهل التعرّف بدقّة على مقاصدهم[٥].

---

[١]– كمال بشر ،علم الأصوات ، ص١٧٤، مصدر سابق.

[٢]– المرجع نفسه، ص١٥٥.

[٣]– عبد الفتاح إبراهيم،مدخل في الصوتيات، تونس (د.ت)، دار النشر ، ص٩٠ .

[٤]– أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،المقتضب : تحقيق ، محمد عبد الخالق عطية ، مصر ، ١٩٩٤ وزارة الأوقاف ، ج١/ص٣٣٠.

[٥]– كمال بشر، علم اللغة العام، ص٨٨ ، مصدر سابق.

وقد عرّف سيبويه الصّوت المجهور بقوله :" حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصّوت"[١]. وعرّف المهموس بأنه " حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتّى جرى النّفس معه"[٢].

أما ابن جنّي فعرّف الصّوت المجهور قائلاً :" حرفٌ أُشبعَ الاعتمادُ في موضعه ، ومَنَعَ النَّفسَ أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد ويجري الصّوت"[٣].

وقد استنتج إبراهيم أنيس من جملة ما ذكره سيبويه " بأن سيبويه ومن تبعه من القدماء على علم حقيقي بطبيعة المجهور والمهموس مع أنّهم أغفلوا الوترين الصوتيين ، فقد ذكر سيبويه الأصوات المجهورة والمهموسة ، وعّينها واتّفق في هذا مع ما أثبتته التجارب الحديثة فيها ثلاثة أحرف (القاف ، والطاء ، والهمزة)[٤]. فقول سيبويه " حرف أشبع الاعتماد في موضعه" [٥] يشير إلى أمرين نصّ عليهما المحدثون وهما : الصّوت المشبع ، والوضوح السمعي .

ونلخص من هذا أنّه وقع خلاف بين الأقدمين والمحدثين في بعض الأصوات من حيث الجهر والهمس ، فالهمزة ، والقاف ، والطاء ، عند القدماء مجهورة وعند المحدثين مهموسة ، فالهمزة قد وصفها القدماء بأنها مجهورة ، بينما أغلب المحدثين وصفوها بأنها مهموسة ، وربما يرجع ذلك الخطأ من القدماء إلى انهم ينطقونها متلوة بفتحة ، والفتحة مجهورة [٦]. وهناك سبب آخر وهو التقارب في النطق ، وهذا ما أكده البشري السيد " ولعل اعتبار القاف مهموسا عند المحدثين يعود إلى قرب نطق الكاف العربية فهو مهموس"[٧].

---

[١]– أبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه ،الكتاب ، ج٤ /ص٤٣٤ ،مرجع سابق.

[٢]–المرجع نفسه ،ج٤ / ص٤٣٤.

[٣]– أبو الفتح عثمان بن جني ،سرّ صناعة الاعراب ، ج١/ص٦٠ ، مرجع سابق.

[٤]– إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية، ص١٢٣–١٢٤ مرجع سابق.

[٥]– أبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه ،الكتاب ، ج٤/ص٤٣٤ .المرجع سابق.

[٦]– كمال بشر، علمالأصوات، ص١١٥،مرجع سابق.

[٧]– المرجع نفسه،ص١٨٣.

المبحث الرابع
مخارج الأصوات

تصنيف الأصوات تبعاً للمخارج .

إنَّ اللّغة أصواتٌ تُصدِرُهَا آلة النطق (جهاز النطق) ، ولكل صوتٍ موضع يخرج منه ، يُسَمَّى المخرج ، ودراسة مخارج الحروف من الموضوعات الأساسية التي عُني بها علماء اللغة العربية وعلماء التجويد المتقدمون ، وهي موضع عناية علماء الأصوات اللّغوية المحدثين أيضاً ، وهناك توافق على كثير من تفاصيل هذا الموضوع بين الفريقين

مفهوم المخرج:

المخرج لغة: اسم مكان من الفعل خرج يخرج، بمعنى برز من مقرّه وانفصل، فيكون المخرج موضع الخروج [١].

والمخرج اصطلاحاً: عند المتقدمين :" الموضع الذي ينشأ منه الحرف"[٢] ، أو هو " موضع خروج الحرف"[٣] ، أو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده"[٤]، وعرّف عدد من علماء الأصوات المحدثين المخرج بأن"مكان النطق "[٥] ، أو هو " موضع التَّماس (التلاقي) (التلاقي) أو التقارب"[٦] ، أو هو " النقطة الدقيقة التي يصدر منها أو عندها الصوت"[٧] .

.

وقد استعمل علماء اللغة العربية القدماء هذا المصطلح ثم أصبح متداولا لدى المؤلفين من بعدهم، غير أنّه لم يكن الاصطلاح الوحيد، إذ نجد الخليل بن أحمد يعطي عدّة مصطلحات مرادفة لهذا الوصف في كتابه العين، وهي: الحيز، والمبتدأ، والمدرجة، وقد

---

[١]– أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج٣/ص٧٣.(خرج)

[٢]– جلال الدّين بن عبد الرحمان السّيُوطي ،همع الهوامع، (٩١١هـ) ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ،،(د.ط)،الكويت ١٩٧٩م دار البحوث العلميّة ، ج٢/ص٢٢٨ .

[٣]– أبو القاسم شهاب الدين المعروف بأبي شامه، إبراز المعاني من حرز الأماني : (٦٦٥هـ) ، تحقيق : إبراهيم عَطوه عَوض ،بيروت ، لبنان، دار الكتب العلمية العلمية ، ، (د.ط)/ (د.ت) ،ص٧٤٣ .

[٤]– موفق الدّين بن يعيش، شرح المفصل، (٦٤٣هـ) ، (د.ط)، بيروت، لبنان، (د.ت)،عالم الكتب ج١٠/ ص١٢٣ .

[٥]– تمام حسان،مناهج البحث في اللغة : ص٨٤ ، مرجع سابق.

[٦]– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،ص١١٨ ، مرجع سابق.

[٧]– كمال بشر، علم الأصوات ، ص١٨٠ ،مرجع سابق.

استعمل مصطلح " الحيز"، في قوله:" فلم يكن لها حيز تُنسب إليه"[١]. كما نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي يذكر مصطلح المدرج في قوله ": في العربية تسعة وعشرون حرفا ، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحاً لها أحياز ومدارج ، وأحرف جوف هي :الواو والياء ، والألف اللّينة والهمزة ، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللّسان ، ولا من مخارج الحلق ، ولا من مدرج اللّهاة ، إنها هي هاوية في الهواء"[٢].

وهنا نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي قد صنّف الأصوات العربية وفق مخارجها مستعملا مصطلح " حيز" عوض مصطلح "مخرج" ، وهو بهذا المعنى أوسعُ من المخرج ، لأن المخرج ربمَّا ضمَّ حرفاً واحداً فقط وربَّما أكثر ، أمَّا الحَيّز فلا بدَّ أن يحتوي على مجموعةٍ من الحروف حتى يُطلق عليه هذا الاسم .

أمّا سيبويه فقد استفاد مما جاء به معلّمه ، إلاّ استخدم مصطلح " المخرج" ، في قوله:" هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها" [٣] ، " ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف" [٤] .

أمّا ابن جنّي فقد استعمل مصطلح : المقاطع مرادفاً للمخرج قوله :"اعلم أنَّ الصّوت عَرَض يَخرج مع النَّفسِ مستطيلاً حتى يَعْرِضَ له في الحلقِ والفمِ والشفتَين مقاطعُ تُثْنِيهِ عن امتدادِه واستطالتِه ، فيسمّى المقطع أينما عَرَض له حرفاً ، وتختلف أجراسُ الحروف بحسب اختلاف مقاطعِها ... ألا ترى أنَّكَ تبتدئ مِن أقصى حلقِكَ . ثمَّ تَبلغ به أيَّ المقاطع شئتَ ، فَتجِدُ له جَرسا مّا "[٥] .

وبملاحظتنا لهذه المصطلحات التي استخدمها علماء العرب القدماء نجد أنّها توحي إلى نقطة التضييق أو الانسداد الّذي يحدث عندها حبس للهواء بحيث ينتج الصّوت اللّغوي الّذي نسمعه ومنه يصبح الحرف ميزاناً تُعرف به ماهيته.

---

[١]- الخليل بن أحمد الفراهيدي،العين ، ج١/ص٦٥ ،مرجعسابق.

[٢]- المصدر نفسه ج٨/ص٦٦.

[٣]- أبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه ،الكتاب ، ج٤/ص٤٣٢، مرجع سابق.

[٤]- المرجع نفسه، ج٤، ص٤٣٤.

[٥]- أبن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج١، ص٦، مرجع سابق.

وليس هناك تعارض بين هذه التعريفات، وهي تشترك في الإشارة إلى موضع الّذي تعترض فيه آلة النطق لإنتاج الصّوت، سواء خرج الصّوت من موضع الاعتراض أو منفذ آخر.

لقد اهتم الكثير من الدارسين الأقدمين بتحديد مخارج الأصوات اللّغوية؛ ويمكن أن نستحضر في هذا المقام بعض النماذج التي تركت صبغة على هذا المجال؛ فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) الّذي عُدّ أوّل من قدّم لدراسة علمية للأصوات تتمثل في تصنيفه لأصوات العربية حسب هيئة النطق بها، أو للأحياز والمخارج فرتب الحروف على مخارجها الصوتية انطلاقا من حسّه المرهف وعلمه الواسع بالموسيقى، فجاء ترتيبه لأصوات العربية في معجم " العين" على النحو التالي:ع-ح-هـ-خ-غ/ ق-ك/ج-ش-ض/ص-س-ز/ط-د-ت/ظ-ذ-ث/ر-ر-ن/ف-ب-م/و-أ-ي"[١]. يقول الخليل :" في العربية تسعة وعشرون حرفامنها:

خمسة وعشرون حرفا صحيحا لها أحياز ومدارج وأحرف جُوف، وهي : الواو والياء والألف اللينة، أو الهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللّهاة، وإنّما هي هاوية في الهواء فلم يكون لها حيز تنسب إليه إلّا الجوف"[٢] .

وقد قسم الخليل هذه الحروف كما يلي:"[٣].

١-الأصوات الحلقية: العين والطاء، والحاء والهاء، والخاء والغين لأن مبدأهما من الحلق .

٢-الأصوات اللهوية: القاف والكاف لأن مبدأهما من اللّهاة.

٣-الأصوات الشجرية: الجيم والشين والضاد لأنّ مبدأهما من شجر الفم.

---

[١]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين،ج١/ص٥٣،مرجعسابق.

[٢]- المرجع نفسه، ج٨/ص١١.

[٣]- المرجع نفسه، ج٨/ص١٢.

٤-الأصوات الأسلية: الصاد والسين والزاي لأنّ مبدأهما من أسلة اللّسان.

٥-الأصوات النطعية: الطاء والتاء والدّال لأن مبدأهما من نطع الغار الأعلى.

٦-الأصوات اللّثوية: الضاد والذال والثاء لأنّ مبدأهما من اللّثة .

٧-الأصوات الذلقية: الرّاء واللام والنون لأنّ مبدأهما من ذلق اللّسان .

٨-الأصوات الشفوية : الفاء والباء والميم، لأنّ مبدأهما من الشفة.

فالخليل برع في تحديد مخارج الحروف بدقّة، وخير دليل على ذلك، موافقة هذا التحديد لما توصل إليه العلم على الرغم من انعدام الوسائل والإمكانات الآلية والمخابر المختصة، وقد قال اللّيث بن المظفر مُنوها بصنيع أستاذه المبتكر في تقسيمه للحروف على مخارجها بأنّه ": كان ذواقة إياها، وأنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف نحو: أبْ،أتْ،أحْ،أعْ،أغْ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب" [١] .

هذا فيما يخصّ الخليل، أمّا سيبويه فقد رتّب الأصوات العربية حسب مخارجها على النحو التالي: ء هـ أ / ع ح / غ خ / ق ك/ ج ش ي ض / ل ن ر / ط د ت / ز س ص/ ظ ذ ث/ ف ب م و . ولكنّه خالف معلمه الخليل في ترتيب بعض الأصوات. فسيبويه عدّ المخارج ستة عشر مخرجا مسقطا مخرج الحروف الجوفية ووزعها على مخارج الحلق واللّسان والشفتين، فجعل الألف مع الهمزة من أقصى الحلق، وياء المدّ مع الياء غير المدية من وسط اللّسان، و واو المدّ غير المدية من الشفتين. وقسمها بهذا الترتيب قائلا:

فللحلق منها ثلاثة:"[٢]

فأقصاها مخرج الهمزة، والهاء، والألف.

ومن أوسط الحلق مخرج: العين والحاء.

---

[١]- الخليل، العين، ج١/ص٥٢، مرجع سابق.

[٢]- أبي بشر عمرو بن عثمان، سيبويه، الكتاب،ج٤/ص٤٣١، مرجع سابق.

وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء.

ومن أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللّسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف .

ومن وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم والشين والياء.

ومن بين أوّله حافة اللّسان وما يليه من الأضراس مخرج: الضاد.

ومن حافة اللّسان من أدناها إلى منتهاها طرف اللّسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الضاحك والناب الرباعية والثنية مخرج : اللام. ومن طرف اللّسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج: النون .

ومن مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللّسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج: الراء.

ومما بين طرف اللّسان وأصول الثنايا مخرج: الطاء والدال والتاء.

ومما بين طرف اللّسان وما فوق الثنايا مخرج: الزاي والسين والصاد.

ومما بين أطراف اللّسان وأطراف الثنايا مخرج: الظاء والذال والثاء.

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا الأعلى مخرج: الفاء.

مما بين الشفتين مخرج: الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشم مخرج: النون الخفية. [1]

وليس من خلاف بين سيبويه وبين الدّارسين اليوم في تصنيف الأصوات إلاّ في حالات قليلة، يمكن التجاوز عن أكثرها؛ لأنّ هذا التباين يرجع إلى عدد من الأسباب أهمها:

[1] - أبي بشر عمرو بن عثمان، سيبويه، الكتاب،ج٤/ص٤٣١، مرجع سابق .

التقارب والتداخل بين مخارج النطق، فليس هناك حدود فاصلة فصلا تاما بين بعض هذه المخارج ومن ثم؛ فإنّه من الجائز أن تُنسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين، وينسبها باحث آخر إلى مخرج قريب منه، أو متّصل به، ومتداخل معه، [1] فسيبويه كان يَعد (ل ن ر) تطور الأصوات: فإن بعض الأصوات قد تغير نطقها، ومن ذلك مخرج "الضاد" فإنّ سيبويه، وغيره من علماء العربية، والتجويد يجعلون مخرجه من حافة اللّسان لا يشاركه غيره من مخرجه، ويعده أكثر المحدثين من مخرج (ت د ط)، بناء على طريقة نطقه في قراءة القرآن في زماننا[٢].

قد يكون جانب من التباين راجع إلى الخطأ في تحديد مخرج عدد من الأصوات، فإنّ الدّارسين تتفاوت خبراتهم ودقة ملاحظاتهم، فربما حدّد بعضهم مخرجا للصّوت، وقد يكون ذلك التحديد غير صحيح، أو غير دقيق[٣].

وبعد سيبويه جاء ابن جني (ت٣٩٢هـ) الذي ألف كتابه " سر صناعة الإعراب" الذي تناول فيه الصّوت من الناحية العضوية والوظيفية وتظهر عبقرية ابن جني في هذا المجال عند وصفه لجهاز النطق عند الإنسان بقوله :" شبه بعضهم الحلق والفم بالنّاي، فإنّ الصّوت يخرج فيه مستطيلاً ساذجاً كما يجري الصّوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين عمله، اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة. ونظير ذلك أيضاً وتر العود؛ فإنّ الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتاً، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر فإن أدناها قليلاً سمعتَ غير الأثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة، إلاّ أن الصوت... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخَفْة بالمضْراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصّوت فيه غُفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة"[٤].فصنيع ابن جني لم يخرج به عما قاله سيبويه والخليل في وصف الحروف ومخارجها، فلا بد من أن يكون قد استفاد منه وزاد عليه بفضل إحساسه المرهف والحاذق.

---

[1]- كمال بشر، علم الأصوات، ص١٩١، مرجع سابق.

[2]- قدوري الحمد غانم، المدخل إلى علم الأصوات العربية، منشورات المجمع العلمي، بغداد،٢٠٠٢م،ص٧٩.

[3]- كمال بشر، علم الأصوات، ص١٩٢.

[4]- ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج١/ص٨-٩ ، مرجعسابق.

الفصل الثاني:علم الدلالة

المبحث الأول: مفهوم الدلالة.

المبحث الثاني: أنواع الدلالة.

المبحث الثالث: تطور الدلالة

المبحث الرابع:التغير الدلالي

المبحث الأول

علم الدلالة :

مفهومة وتاريخه:

قبل الكلام على أنواع الدلالات التي تحدد معنى اللفظة أو التركيب في التعبير ، لا بد من الإشارة إلى معنى الدلالة في اللغة والاصطلاح .

ومن المعروف أنّ علم الدلالة حديث النشأة ، ظهرت أولياته وبوادره في أواخر القرن التاسع عشر ، وهذا لا يعني مطلقاً أنّ التفكير الإنساني في العصور القديمة في مجال اللغة يخلو تماما من دراسات تهتّم بالمعنى ؛ بل على العكس من ذلك فالاهتمام باللغة عموما ، وبالدلالة خصوصاً بدأ منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي ، فموضوعات هذا العلم ، واهتماماته قديم قدم البحوث البشرية في اللغة – وإن لم يسمّ بهذا الاسم – لأن "الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فقط فهمها من خلال المعنى"[1] وبقي الاهتمام بالدّلالة يزداد عبر مراحل التاريخ حيث وجه العلماء اهتمامهم إلى معاني الكلمات أكثر من اهتمامهم بوظائف النحوية، لذا كان تصنيفهم لأقسام الكلام يعتمد بالدرجة الأولى على صفاتها الدلالية فعلموا على تحديد المعنى الذي يحمله اللفظ عندما يكون مفرداً ، وبيان ما يؤول إليه المعنى عندما يوضع في التركيب، وما تتعرض له دلالة اللفظ في تحول من معنى إلى معنى ، فقد كان لعلماء العرب القدامى إسهام فعالٌ في تأسيس وعي دلالي ، يمكن رصده في نتاج الفلاسفة واللغويين وعلماء الأصول والفقه والأدباء فالبحوث الدّلالية العربية بدأت منذ القرن الثاني الهجري إلى سائر القرون التالية لها ، وهذا التاريخ المبكر إنّما يعني نضجاً أحرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها، فكل هذه الجهود اللغوية لأسلافنا الباحثين فتحت منافذ كبيرة

[1] – أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ط٢ ، القاهرة :١٩٨٨ ، عالم الكتب ،ص٥ .

للدرس اللغوي الحديث، وأرست قواعد هامة في البحث اللساني بصفة عامة والبحث الدّلالي بصفة خاصة ، واستفاد منها العلماء المحدثون في ميدان علم اللّغة .

الدلالة لغة :

الدلالة:" مصدر الدَلِيْل- بالفتح والكسر" [١] . و"أصلها في العربية حسّي ، يراد به الاهتداء إلى الطريق ، ثم استعملت للدلالة على الهداية المعنوية العامة والشرعية"[٢].

والدلالة في اللغة مأخوذة من مادة (دلّ)، وهي تشتمل على أكثر من معنى ، وفي مقدمتها (البيان والدليل) ، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) :"الدال واللام أصلان ، أحدهما : إبانة الشيء بأمارة تتعلمها ، والآخر : اضطرابُ في الشيء ، فالأول قولهم :دَلَلْتُ فلاناً على الطريق . والدليل الأمارة في شيء"[٣].

ومصطلحات (الدلالة) و (الدّليل) و (الإستدلال) معروفة لدى اللغويين العرب ، اذ عرفوها منذ أقدم عهود الإسلام ، ويظهر ذلك مثلاً في كتابات ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، متمثلاً باستنباطه دلالات غريب الألفاظ القرآنية ، وذلك بالرجوع إلى استعمالات العرب لتلك الألفاظ ودلالاتها ، ولذلك نجده يُقرر أنه لا يَعرف فضل القرآن إلا "من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتتانها في الأساليب "[٤] . ويُلحظ ذلك أيضاً لدى ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، الذي عُنى بدلالات الألفاظ ، عاقداً لذلك باباً في خصائصه عنوانه (في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية) ، قسّم فيه الدلالة على ثلاثة أقسام ، جاعلاً ترتيبها بهذه الصورة يعتمد على قوة كل دلالة وضعفها ، مبيناً :" أنها في القوة والضعف على ثلاث

---

[١]- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٨/٨ .

[٢]- د.كاصد الزيدي ، الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي ، مقال : مجلة آداب الرافدين – كلية الآداب – جامعة الموصل، العدد ٢٦ ، سنة ١٩٩٥ م .

[٣]- أبو الحسين أحمد بن فارس ، ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، معجم مقاييس اللغة ،المجمع العلمي العربي الإسلامي / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج٢ / ٢٥٩ (دلّ).

[٤]- ابن قتيبة (أبو محمد بن مسلم) ، مكتبة ابن قتيبة ، شرحه ونشره : أحمد صقر ، تأويل مشكل القرآن،ط٢،القاهرة / ١٣٩٣هـ- ١٩٧٩ م ، دار التراث ، ص١٢ .

مراتب :" فأقواهُنّ الدلالة اللفظية ، ثم تليها الصناعية ، ثم تليها المعنوية " [1]عارضاً لكثير من الأمثلة التي توضح ما ذهب إليه . وكذلك فعل أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، إذ ذكر: الاستدلال ، والدليل ، والدال ، والمدلول والمستدل ، وبين ماهية كل منها ذاكراً :" أن الاستدلال هو نظر القلب المطلوب به علم ما غاب من الضرورة والحس ، وأن الدليل هو ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر إليه الى معرفة ما لا يُعلم باضطراره ، وأنّ الدال هو : ناصب الدليل ، وأنّ المدلول هو ما نصب له الدليل، والمستدل : الناظر في الدليل ، واستدلاله : نظر في الدليل وطلبُهُ به علم ما غاب عنه "[2]. ويورد ابن منظور قوله حول معاني لفظ (دلَّ):"الدليل ما يستدل به،والدليل الدال. وقد دله الطريق دلالة بفتح الدال أو كسرها أو ضمها) والفتح أعلى.

وأنشد أبو عبيد :

إني امرؤ بالطرق ذو دلالات

والدليل الذي يدلك.

ويقول ابن منظور" (الدَّلالة قل سيبويه وعلي – كرم الله وجهه – وقد تضمن قولهما لفظ"دلَّ" .

ويقول سيبويه :" والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها، ودللت بهذا الطريق عرفته، ودللت به أدل دّلاله، وأدللت بالطريق إدلالاً، والدَّلال الذي يجمع بين البيعين، والاسم الدلالة والدّلالة ما جعلته للدليل أو الدلال ". وفي حديث علي –رضي الله عنه– في صفة الصحابة :" ويخرجون من عنده أدلة " وهو جمع دليل أي بما قد عملوا فيدلون عليه الناس يعني : يخرجون من عنده فقهاء ، فجعلهم أنفسهم أدلة ، مبالغة " [3].إن ابن منظور – بما جمع من أمثلة – يرسم الإطار المعجمي للفظ "دلَّ" محدداً المعنى الحقيقي الذي ينحصر في دلالة

---

[1]– ابن جني ،الخصائص ، ج٣ ، /٩٨،مرجع سابق.

[2]– محمد زاهد الكوثري ،الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ط٢ ، مصر ، ١٣٨٢هـ – ١٩٣٦ م ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر ، ص١٥ .

[3]– ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري)، لسان العرب، ط١، بيروت، ١٩٩٢ م ، دار صادر مجلد ١١ ، ص٢٤٨ – أبن منظور ، ص٢٤٩ ، مادة (دلَّ)

الإرشاد أو العلم بالطريق الذي يدل الناس ويهديهم. وهذا التصور للدلالة، ولا يختلف عن التصور الحديث؛ مما يعني أن المصطلح العلمي (الدلالة) يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية التي نجدها في أساليب الخطاب اللغوي القديم. وإلى المعنى ذاته يشير الفيروز أبادي محدداً الوضع اللغوي للفظ "دلَّ" فيقول :" والدلالة ما تدل به على حميمك ، ودله عليه دلالة ويثلثه ، ودلولة فاندل : سدده إليه ... وقد دلت تدل والدال كالهدي "[١]. وبهذا الشرح يؤكد الفيروز آبادي ما نص عليه ابن منظور من أن الأصل اللغوي للفظ "دلَّ" يعني هدى وسدد وأرشد .

هذا التحديد اللغوي للفظ "دلَّ" ؛ كما جاء به الفيروز آبادي ينطوي على جملة من المعطيات اللغوية يفسرها الدرس اللساني والدلالي الحديث ويحدد أبعادها المعرفية .

ويقول محمد مرتضى الزبيدي فيشرح في معجمه لفظ "دلَّ" لغوياً ، فيقول " أن الدلالة مثلثة الدال، مصدر الفعل (دلّ) وهو من مادة (دلل) التي تدل على الإشارة إلى الشيء والتعريف به، ومن ذلك دّله يدّله على الطريق، أي سددّ إليه"[٢].

هذا وتجمع قواميس اللغة على أن الدلالة، تعني الهدي والإرشاد، فدله على الشيء وعليه أرشده وهداه.

أما لدى الغربيين " فقد ظهر مصطلح (الدلالة) لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر على يد الفرنسي (ميشال بريل – Michei Breal)، وذلك سنة (١٨٨٣م) قاصداً به علم المعنى "[٣] .

---

[١]– الفيروز آبادي، القاموس المحيط ط٨ ، (ت٨١٧ هـ) ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، باشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، ١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٥ م ،ج٣ ، ص٣٧٧ .

[٢]– الزبيدي (أبو الفضيل محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ،ط٣ بيروت ، ١٩٦٨م (ت١٢٠٥هـ) دار مكتبة الحياة– ، ج٧ ،ص٣٢٤–٣٢٥.

[٣]– كلود جرمان– ريمون لوبلان ، ،ترجمة نور الهدى لوشن ،علم الدلالة، ط١ ليبيا – بنغازي ، ١٩٩٥م ،ص٧ .

(الدلالة) اصطلاحاً:

فقد حدّها الراغب (ت٤٢٥هـ) بأنها :" ما يُتَوصّل به إلى معرفة الشيء ، كدلالة الألفاظ على المعنى ، والإشارات ، والرموز الكتابية ، والعقود في الحساب"[١] وحدّها السيد الجرجاني (ت٨١٦ هـ) :"بكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر ، والشيء الأول هو : الدال ، والثاني هو : المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص"[٢]. وعلى أساس هذا التعريف للدلالة ، فأقسامها عند الجرجاني اثنان هما :

أ- الدلالة اللفظية : إذا كان الشيء الدال لفظاً .

ب- الدلالة غير اللفظية: إذا كان الشيء الدال غير لفظ.

وبتحديده لطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول ، يحصى الجرجاني ثلاثة مستويات صورية تنتج عنها ثلاث دلالات ، دلالة العبارة و دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء .

فدلالة العبارة أو النص فهي :" المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من صيغة النص وهو الذي قصده الشارع من وضع النص؛ لأن المشرّع حين يضع النص يختار له من الألفاظ والعبارات ما يدل دلالة واضحة على غرضه ثم يصوغه بعد ذلك بحيث يتبادر المعنى المقصود من النص إلى ذهن المطلع بمجرد الاطلاع عليه "[٣]، فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغةً لا اجتهاداً، فقوله لغة، اي : يعرفه كل من يعرف هذا اللسان لمجرد سماع اللفظ من غير تأمل كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى ﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا**

---

[١]- الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن ، أعده للنشر :د.محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية – المطبعة الفنية الحديثة – القاهرة / ١٩٧٠م ،ص١٧١ (دلّ) .

[٢]- السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، التعريفات،– بيروت ١٩٨٥ م ،مكتبة لبنان، ص٦١ .

[٣]- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، ط٤، بيروت، سنة ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي، ص١٨٦-١٨٧، ج١.

تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[1]، ويوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه من الأذى بدون اجتهاد [2].

علم الدلالة عند الهنود:

اتبعوا الهنود منذ وقت قديم كثيراً من المفردات التي تربطهم بفهم طبيعة المعاني والمفردات والجمل، وناقشوا معظم مباحث علم الدلالة، واختلفوا في نشأة اللغة على التالي:

١-اللغة القديمة وهي هبة وليست من صنع البشر .

٢-اللغة من اختراع الإنسان وقد حثه عليها حاجته للكلام .

٣-اللغة نتاج النشاط الفكري للإنسان .

العلاقة بين اللفظ والمعنى:

تحدث فلاسفتهم عن ثلاثة أقسام هي:

الكلمة – والإدراك – والمحتوى.

فالكلمة عندهم مركبة من وحدات صوتية، أما الإدراك فهو الربط بين اللفظ والشيء والمدلول عليه[3].

الدلالة عند اليونانيين :

ذكر الدكتور أحمد مختار: بدأ التفكير عند اليونانيين مرتبطاً بالفلسفة، وهو أهم المشاكل التي لفتت أنظار اليونانيين، ويعد أفلاطون رائد الدراسات النحوية اليونانية، وأول

---

[1]- سورة الإسراء – الآية ٢٣.

[2]- الشريف بن الحسين الجرجاني الحنفي، وضع حواشي وفهارسه – محمد باسل عيون السود، ط٣ ، لبنان: ٢٠٠٩، الناشر:دار الكتب العلمية بيروت ،ص٩٩ .

[3]- د.أحمد مختار، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، ط٣، لبنان: ١٩٧٢م، دار الثقافة، ص٩٩.

من فرق بين الاسم، والفعل، وأضاف أرسطو قسماً ثالثاً سماه رابطة، كما أنه أعطانا تقسيماً للأصوات على النحو التالي:

١-أصوات العلة .

٢- الأصوات الساكنة والمهموسة والمجهورة .

وبعد ذلك انتقلت الدراسة إلى الرواقيين الذين فصلوها عن الفلسفة واعتبرت نوعاً مستقلاً تحت الحقل الواسع المسمى بالفلسفة [١].

الدلالة عند البلاغيين:

الصلة بين الألفاظ والمعاني شغلت العلماء القدماء، قد أولى الجاحظ هذه المظاهرة اهتماماً كبيراً، حيث قال(المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ).

ومن الذين أخذوا برأي الجاحظ وابن قتيبة وابن رشيق الذي أشار إلى ضرورة التلاحم بين اللفظ والمعنى حينما قال :" اللفظ جسم روحه المعنى ..." .

أما ابن سنان الخفاجي فقد عني به عناية شديدة باللفظ المفرد. وقد رأى عبد القاهر إن المعنى مفيد في تحديده بالنظم الذي يؤدي به، والألفاظ عنده رموز للمعاني المفردة التي تدل عليها[٢].

الدلالة عند المسلمين العرب:

أ- عند الأصوليين :

ذكر الدكتور فايز الداية في كتابه علم الدلالة صـ١٣٠ أن ابن سينا(٣٧٢- ٤٢٧هـ) شرح العملية الدلالية معتمداً على درايته بعلم النفس قائلاً :" ما يخرج بالصوت يدل على ما

---

[١]- أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص١٦، مرجع سابق.

[٢]- المرجع نفسه ،ص٦١ .

في النفس من معاني " ويعلق المؤلف (الداية) على التعريف بقوله : إن ابن سينا لم يلتفت إلى الوعي العلمي الذي يستوعب البحث الدلالي العام .

ويوجز الإمام الغزالي هذه المسألة الدلالية بقوله : الوجود في الأعيان والأذهان لا يختلف بالبلاد، والأمم بخلاف الألفاظ والكتابة، فإنهما دالتان بالوضوح والاصطلاح، أماابن خلدون الذي عرف مكانة تشريح العملية الدلالية يقول في مقدمته :(من دون هذا الأمر الصناعي الذي هو المنطق، مقدمة أخرى من التعليم، وهي معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتابة ومشافهة اللسان بالخطاب[١] .

الدلالة عند العرب اللغويين القدماء:

يقول د. إبراهيم أنيس انقسم اللغويون العرب إلى فريقين: فريق نادى بأن اللغة اصطلاحية، وحجتهم أن الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها صلة عرفية لا تخضع لمنطق أو عقل. أما الفريق الثاني فقال: أن اللغة توقيفية .

وأخذ ابن جني بالرأيين فيقول: أن اللغة بدأت توقيفية ثم انتهت إلى الاصطلاح والمواضعة[٢]، :وله رأي في المحاكاة يقول اللغة محاكاة لأصوات الطبيعة. وأوجز د.أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة: أن اهتمامات اللغويين العرب تمثلت فيما يأتي:

١-محاولة ابن فارس في معجمه المقاييس ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

٢-محاولة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية .

٣-محاولة احمد بن فارس ربط تقليبات المادة الممكنة بمعنى واحد كقوله، إما (ك ل م) أنها حيث تقلبت تعني القوة والشدة [٣] .

---

[١]- عودة خليل عودة، التطور الدلالي بين شعر الجاهلي والقرآن الكريم، الناشر: مكتبة الأردن عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٦٩.

[٢]- إبراهيم أنيس، الناشر، ص١٦-٢٠ مرجع سابق.

[٣]- المرجع نفسه، ص١٨-٢١.

الدلالة عند المحدثين العرب:

يعد علم الدلالة في بعض اللغات طريقاً إلى معرفة أسرار اللغة، وطرائقها الخاصة في تنمية الأشياء وتطور ألفاظها ومعانيها ووسيلة لمعرفة عقلية الشعب الذي يتكلم بها وبيئته وعاداته ومراحل تفكيره[١].

ويعرفه رمضان عبد التواب بأنه: العلم الذي يدرس دلالة الألفاظ وحياة الكلمات عبر العصور اللغوية المختلفة، وما أصابها من عوامل التغيير والبلي والاندثار، وأيضاً نشوء الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد وغير ذلك [٢].

الدلالة عند المحدثين الغربيين:

عرف استيفن أولمان المعنى بقوله : (العلاقة المتبادلة والمدلول علاقة تمكن كل واحد منها من استدعاء الآخر) .

ويعرف دي سويسر علم الرمز بأنه العلم الذي درس الرموز بصفة عامة، ويعد علم اللغة أحد فروعه[٣] .

ودلالة الإشارة :" وهي (أي دلالة إشارة) ما يؤخذ من إشارة اللفظ لا من اللفظ ونعني به ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه ن فكما أن المتكلم قد يُفهم بإشارته وحركته في أثناء كلامه م لا يدل عليه نفس اللفظ فيسمى إشارة ، فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يقصد به ...وهذا ما يقد يسمى إيماء وإشارة "[٤] .

---

[١]– محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الاصيل في التجديد والتوليد، دار نشر الفكر للطباعة والتوزيع،ص٦٤.

[٢]– رمضان عبد التواب، المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط٣، القاهرة:١٤١٧– ١٩٩٧م،مكتبة الحانجي، ص١٠ .

[٣]– أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص١٠، مرجع سابق.

[٤]– الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية ،ج٢ ، ص١٨٨ .

ودلالة الاقتضاء بأنها هي: " التي لا يدل عليها اللفظ ولا يكون منطوقاً بها ولكن تكون من ضرورة اللفظ"[١].

إن هذا الفهم العميق للدلالة ينم عن مدى النضج المعرفي الذي احرزه علماء القرن الثامن الهجري والذي تبلور بعد تلك الدراسات الدلالية القيمة التي تطورت منذ القرن الثالث الهجري.

هذه مفاهيم للدلالة لم توجد مبوبة مفصلة كما هي عليه في الدراسات الحديثة، إنما كانت أساس الدراسات اللغوية في التراث المعرفي.

أما لدى اللغويين المحدثين فقد حدث تطور كبير في مفاهيم المصطلحات القديمة في العصر الحديث ، واتخذت أبعاداً أخرجتها من تلك الدراسة "الأولية" ووسعت مجال البحث فيها ، ومصطلح " الدلالة" هو من ضمن تلك المصطلحات التي تبلورت مفاهيمها في العصر الحديث وشملت الدراسة فيها ميادين عدة من حياة الناس ، بل أضخت ملتقى لاهتمامات كثير من المعارف الإنسانية الحديثة ؛ بدءاً بعلم النفس ثم علم الاجتماع والمنطق وعلوم الاتصال والإشارة . وإن هذه الصور التي برز فيها علم الدلالة كأساس لعدة معارف حديثة هي نتاج للدراسة اللغوية المتخصصة ؛" ذلك إن معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم ، مناهج بحث خاصة، وعلى أيدي لغويين متخصصين إنما تعد ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة وواحدة من أهم نتائجه "[٢]." وهي العلم الذي يهتم بدقة بوجه مدلول العلامة اللغوية"[٣].

---

[١]– أبو حامد الغزالي ، ص١٨٧،مرجع سابق .

[٢]– د. احمد مختار عمر ، ص٢٢ ،مرجعسابق.

[٣]– كلود جرمان وريمون لوبلان ، ص١٩،مرجع سابق .

وفي ضوء ما تقدم ، فإنّ الدلالة تعني : ما يدل عليه اللفظ أو التركيب من معنىً ؛ وذلك أنَّ دلالة أي لفظ هي : ما ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنى "[1].

وتعد قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر في الحضارات المختلفة ، وأسهم فلاسفة ولغويون وبلاغيون وأصوليون في بحث قضايا دلالية متنوعة ، ولهذا فقد نهجت نهجاً أدق وأوسع عند المحدثين مما كانت عليه قديماً ، وهي تعنى بمعالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم وبمناهج بحثه الخاصة ، وعلى أيدي لغويين مختصين .

[1]- محمد حسين آل ياسين، الأضداد في اللغة، ط١، – بغداد: ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، مطبعة المعارف، ص٥٥.

المبحث الثاني

أنواع الدلالة

الأنواع الدلالة :

من المباحث اللغوية التي أثارها الدرس الدلالي ؛ بناء على العلاقات التي تجمع الدال بمدلوله ، مبحث أقسام الدلالة وأنواع المعنى ، فإذا كان تحديد معنى الكلمة يتم بالرجوع إلى القاموس اللغوي ، فإن ذلك لا يمكن أن ينسحب على جميع الكلمات التي ترد مفردة أو في السياق ، ولذا ميز اللغويون بين معان كثيرة أهمها :

أ/ المعنى الأساس أو التصويري: وهو المعنى الذي تحمله الوحدة المعجمية حينما ترد المفردة."

ب/ المعنى الأسلوبي: وهو الذي يحدد قيم تعبيرية تخص الثقافة أو الاجتماع.

ت/ المعنى الإضافي أو الثانوي: وهو معنى زائد على المعنى الأساسي ، يدرك من خلال سياق الجملة .

ث/ المعنى النفسي: وهو الذي يعكس الدلالات النفسية للفرد المتكلم .

ج/ المعنى الإيحائي:وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتصل بالكلمات ذات القدرة على الإيحاء نظراً لشفافيتها"[١].

وتقسيم المعنى في علم الدلالة يخضع لمبدأ عام ملخصه "أن القيمة الدلالية للوحدة المعجمية يخضع تحديدها لمجموع استعمالات هذه الصيغة في السياقات المختلفة "[٢] ،

[١]- أحمد مختار عمر ، ص ٣٦-٣٧-٣٨-٣٩ ،مرجع سابق.

[٢]- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دمشق، ٢٠٠١، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص٦٨.

ولقد قسم العلماء الدلالات اعتماداً على معايير ترتكز على الإدراك لطبيعة العلاقة بين قطبي الفعل الدلالي ، وهو لا يخرج عن ثلاث : " اعتبار العرف ، أو اعتبار الطبيعة أو اعتبار العقل وعلى ذلك فالدلالة إما عرفية أو طبيعية أو عقلية"[١].وأخضع علماء الدلالة تصنيف الدلالات بناء على أداء السياق للمعنى ، "فالكلام إما أن يساق ليدل على تمام معناه ، وإما أن يساق ليدل على بعض معناه ، وإما أن يساق ليدل على معنى آخر خارج عن معناه إلا أنه لازم له عقلا أو عرفاً"[٢] ، واستناداً إلى ذلك فالدلالات ثلاث أصناف هي: " دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام ، وهذه الدلالات الثلاثة تندرج ضمن دلالة عامة هي الدلالة الوضعية التي هي قسم من أقسام الدلالة اللفظية ".

الدلالة الوضعية :

وهي " الدلالة التي يجد فيها العقل بين الدال والمدلول علاقة الوضع ، ينتقل لأجلها منه إليه"[٣]، ويحدث هذا الانتقال الذي بين الدلالتين بصورة تدريجية " ولابد لهذا الانتقال من زمن قد يطول قبل أن ينتهي إلى المعنى الأخير ، والذي يمثل ضرباً من التطور في تفكير الإنسان ، وسمواً في إدراكه"[٤] ؛ وعلى هذا الأساس يتبين أن اللفظة لا تقف عند دلالتها الأصلية غالباً ، بل كثيراً ما تشهد تطورات دلالية عبر أزمان عدة ، مع وجود علاقة دلالية تصحب المعنى القائم ، إذ يلحظ أن اللفظ مع انتقالها من دلالة إلى أخرى ، فإن المعنى يبقى موافقاً لها . مثال ذلك: الفعل (قضى) بمعنى (حكم)، فالأصل فيه القطع الحسي ، وهو من مادة (قضى) ، والفعل (عقل) بمعنى (فهم) ، فهو مأخوذ من قولهم :"عقلت البعير أعقله عقلا ،إذا جمعت قائمه وشددته بالعقال"[٥] . فالأصل في (العقل) إذن:"الحبس والمنع والتقييد"[٦] .

---

[١]–منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص٦٩، مرجع سابق.

[٢]– عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، ط٣ ، دمشق ،١٩٨٨م ، دار القلم ، ص٢٧ .

[٣]– محمد أعلي التهاوني ، ، تحقيق : شوقي ضيف ،كشاف اصطلاحات الفنون ، ط٢، دار المعارف بمصر ، (د.ت).٢٨٨/٣ .

[٤]– كاصد ياسر الزيدي، فقه اللغة العربية، الموصل: ١٩٨٧ ، دار الكتب ، ص١٤٦ .

[٥]– أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ابن دريد) ، كتاب جمهرة اللغة، ط١ ، حيدر اباد–الدكن / ،١٣٤٥هـ– ١٩٢٦م ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٢٨/٣ ، (عقل)

[٦]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٦٩/٤–٧٠ (عقل).

وبناء على ما تقدم فالدلالة الوضعية هي أول دلالة في الاستعمال اللغوي ، وهي الدلالة الأصلية ، وقد يطلق عليها (المعجمية) أيضاً ، وتكون عادة حسية ولا تكون معنوية ، إلا بعد تطور دلالي في استعمالها ؛ وذلك لما هو ثابت في الدراسات الدلالية الحديثة ، من أن " اللغة تسير في تطورها من الإشارة إلى العبارة ، ومن التجسيد إلى التجريد "[١]. "وبناء على ذلك فأقسام الدلالة في العصر الحديث تتفرع إلى ستة أصناف يمكن تمثيلها في الرسم الآتي :

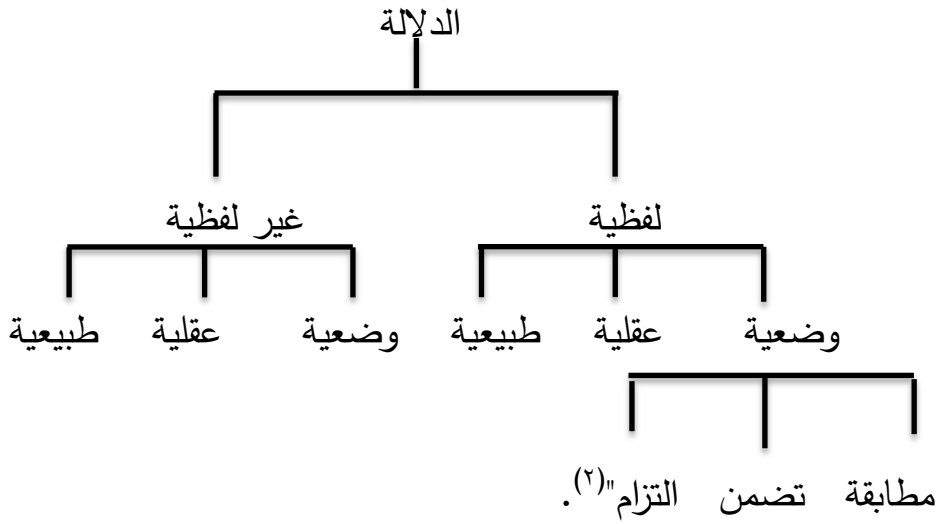

"[٢].

ويمكن تحديد مفاهيم هذه الأصناف الدلالية ، كما درج على تعريفها علماء الدلالة. فالدلالة اللفظية العرفية لا تنعقد إلا بتوفر ثلاث أركان:"اللفظ وهو نوع من الكيفيات المسموعة ، والمعنى الذي جعل اللفظ بإزائه ، وإضافة عارضة بينهما هي الوضع ، أي جعل اللفظ بإزاء المعنى ، على أن المخترع قال : إذا أطلق هذا اللفظ فافهموا هذا المعنى"[٣].

فالدلالة الوضعية : هي " الدلالة العرفية أو الاصطلاحية ، حيث يتواضع الناس في اصطلاحهم على دلالة شيء ما ؛ وبعد ذلك فالدلالة الوضعية يقتضي لإدراكها العلم المسبق بطبيعة الارتباط بين الدال ومدلوله "[٤] .

---

[١]– د.مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية الغالية–١٩٥٥م، مطبعة لجنة البيان العربي، ص١٣ .

[٢]– عادل الفاخوري ، علم الدلالة عند العرب ، دراسة مقارنة مع السيماء الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٥م، ص١٦ .

[٣]– منقور عبد الجليل ،ص٦٩، مرجع سابق.

[٤]– عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، تونس ، ١٩٨٦م، المطبعة العربية ، ص٥٢ .

الدلالة العقلية:

وتسمى كذلك بالدلالة المنطقية فهي " التي يكون فيها العقل أمر إدراك طبيعة العلاقة التي تربط الدال بمدلوله ، ويمثل لتعريفها عادة بدلالة الدخان على النار إذ يتم استحضار الدلالة الغائبة بحقيقة حاضرة والذي يربط بين الأمرين هو العقل وعلى هذا سميت الدلالة المستحضرة بالدلالة العقلية "[١]. فيحدد المسدي هذه الدلالة وطرق إدراكها بقوله :"وفيها(أي الدلالة العقلية) يتحول الفكر من الحقائق الحاضرة إلى حقيقة غائبة عن طريق المسالك العقلية بمختلف أنواعها"[٢]،هذه المسالك المعتمد عليها في رصد الدلالة المنطقية تتحدد في ثلاثة هي :"

أ/ مسلك البرهان القاطع: وهو الذي يتقيد بقيود المنطق العقلي ، فإذا سألت عن جنس الحاضرين فأجبت بأن بعضهم ذكور وعرفت بينهم إناث .

ب/ مسلك القرائن الراجحة: وهو الذي يفضي إلى تسليم ظني يأخذ في البدء بمعطيات هي في منزلة "العلامات الدالة " وبواسطة القرائن المنطقية يستكشف "مدلول" تلك العلامات .

ت/ مسلك الاستدلال الرياضي: وهو يعني الانتقال من المعلوم فرضاً إلى المجهول تقديرا" [٣].

الدلالة الطبيعية:

وهي التي يعتمد في إدراكها على علاقة طبيعية يتم على أساسها الانتقال من الدال إلى المدلول ، ويقول عادل الفاخوري في تعريفها:"هي الدلالة التي يجد العقل فيها بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه ، كدلالة الحمرة على الخجل والصفرة على

---

[١]– منقور عبد الجليل، ص٧٠،مرجع سابق .

[٢]– المسدي، ص٤٧، مرجع سابق.

[٣]– مرجع نفسه،ص٤٨ .

الوجل"[1] . فالدلالة الطبيعية- إذن- فيها ربط بين حقيقة ظاهرة وحقيقة غائبة يتم على أساسها اقتران الدال بمدلوله اقتراناً طبيعياً ، وهذا الاقتران الطبيعي " يتمثل في الرابطة التي تكوّن ما يقع عليه الحس الإنساني وبين تفسير الإنسان لهذا المحسوس ، فأعرض الأمراض محسوسات يفسرها الطبيب تغيرات تربط بين كل منها وبين مرض معين"[2]، ويعزى وجود هذا الإرتباط بين الدال والمدلول إلى السنن الكونية التي تسير وفقها الطبيعة . فالحدث الطبيعي إذا تكرر أمكن للعقل أن يعقد بينه وبين الشيء الذي أحدثه ؛ وبناء على ذلك "فالدلالة الطبيعية هي التي ليس بين الملزوم واللازم فيها ارتباط عقلي ، إلا أن النظام الذي وضعه الله في الطبيعة قد أوجد هذا الترابط فإذا سألنا العقل المجرد عن ملاحظة النظام الموجود في الطبيعة لم يجد تعليلاً عقلياً له غير أن الاختيار المتكرر للأحداث الطبيعة ، قد نبه على وجود هذا الترابط في الواقع"[3].

أما الدلالة من حيث المفهوم فإنها تصنف كذلك إلى ثلاثة أصناف- أشرنا إليها سابقاً- هي التي تمثل الأقسام الثلاثة للدلالة الوضعية اللفظية وهي : دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام . " فدلالة اللفظ على تمام معناه الحقيقي والمجازي هي دلالة المطابقة ، ودلالة اللفظ على بعض معناه الحقيقي أو المجازي هي دلالة التضمن ، ودلالة اللفظ على معنى آخر خارج عن معناه لازم له عقلا أو عرفا هي دلالة الالتزام ، واللفظ الدال يحمل مقومات تمثل مؤلفاته التمييزية ، فاللكسيم "إنسان" يحمل المقومات التميزية التالية :"الجسم الحي ، الاحساس ، النطق" . وعليه تكون دلالة المطابقة ، دلالة اللفظ الكلي على مجموع هذه المقومات التي تؤلف الذات أو الكُنه ، وتكون دلالة التضمن دلالته على بعض هذه المقومات لا كلها . فهكذا كلمة "إنسان" تدل بالمطابقة على الحيوان الناطق ، وبالتضمن على الجسم مثلاً أو على الناطق أو على الجسم الحي"[4] . أما دلالة الالتزام

---

[1]- كتابة علم الدلالة عند العرب: دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة ، ص٤٢ .

[2]- د.تمام حسان ، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، الأصول،بغداد : ١٩٨٨م ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة، ص٣١٩ .

[3]- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،ضوابط المعرفة وأصول المناظرة والاستدلال ، ص٢٦ .

[4]- عادل الفاخوري،ص٤٣ ، مرجع سابق.

فإنها تكون خارج اللكسيم ذاته بشيء يلزمه ، وعلى ذلك :" فدلالة الالتزام تكون دلالة جزء على الجزء المجاور له ضمن مجموعة مرتبة من الأجزاء كدلالة الحاجب على العين"[١] .

وبما أن العلاقة بين الدال والمدلول تخضع أساساً لفعل الإدراك لطبيعة هذه العلاقة ؛ وبناء على ذلك تتحدد الأنساق الدلالية " فإن للسياق اللغوي إضافات نوعية على مستوى تحديد الأصناف الدلالية ، فتتميز بذلك الدلالة العامة من الدلالة الخاصة ، والدلالة الظاهرة من الدلالة الخفية اللتان يتحكم فيهما التصريف المزدوج لاستعمال اللغة وهو ما يمكن أن يدرج تحت ما يسمى بالدلالة الأصلية أو الدلالة المحولة . فالتراكيب السياقية هي التي تشرف أساساً على تحديد الدلالة المعينة للصيغة ، فإذا استطاع اسم من الأسماء أن تكون له معان عديدة فيجب أن نعلم أنها معان محتملة وأن أحد هذه المعاني يتحدد ضمن سياق معين"[٢] ؛ وبناءً على ذلك فإن الدلالة السياقية تشير إلى ذلك الترابط العضوي بين عناصر الجملة ، وهو ما يشكل بنية اللغة ، بل إن مفهوم الدلالة السياقية يتسع ليشمل مجموع الجمل التي تكون النص، يوضح ستيفن أولمان ذلك قائلاً :" إن السياق ينبغي أن يشمل –لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة والملاحقة فحسب –والقطعة كلها والكتاب كله ، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات"[٣].

إن الجملة التي تؤدي قيما دلالية ، يفترض أن تكون ذات وحدة بنيوية ووظائفية ، وهو ما يكرّس مبدأ التركيب السياقي ودوره الأدائي ، وقد تستقل الجملة بدلالتها داخل النسيج الدلالي للخطاب وهذا لا يعني نفي أية صلة بينها وبين السياق العام للنص بحكم انتمائها إلى نفس المجال الدلالي للجمل الأخرى داخل النص الواحد . يبيّن عبد السلام المسدي بقوله :" إن استقلاق التركيب لا يعزل وجود ارتباط معنوي ، فالنص بأكمله مجال دلالي واحد ، والجمل من النص تقوم على تسلسل معنوي عام بحكم انتمائها إلى نفس

---

[١]– عادل الفاخوري ص، مرجع سابق،٤٤.

[٢]– بيار جيرو ، علم الدلالة ، ترجمة د.منذر عياشي ، ص٥٦ .

[٣]– كمال بشر، دور الكلمة في اللغة ، ص٦٢ .

المجال الدلالي" [١] . بينما أكد منقور عبد الجليل إضافة دلالة أخرى إلى الدلالة السياقية أشار إليها الدرس الدلالي الحديث حيث يقول :" وإضافة إلى الدلالة السياقية ، يشير الدرس الدلالي الحديث إلى دلالة أخرى تحدد وفق موقع الصيغة من السياق ، وفق تركيب عناصر الجملة وترتيبها ، وهو ما اصطلح على تسميتها بالدلالة الموقعية " [٢] ، فقد تتكون الجملتان من نفس الوحدات لكن ترتيبها في كل جملة يختلف فتتميز الدلالة تبعاً لذلك ."إن السياق اللغوي قد يحيل إلى دلالات مختلفة تتحدد بضوابط خاصة من ذلك المعاني الحافة الاجتماعية والفردية ، وهي عبارة عن قيم عاطفية إضافية تسمى القيم التعبيرية أو الأسلوبية والتي أضحت من مباحث علم الأسلوب الذي يهدف إلى الإجابة على التساؤل التالي : ما الذي يجعل الخطاب الأدبي الفني مزدوج الوظيفة والغاية يؤدي ما يؤديه الكلام عادة وهو إبلاغ الرسالة الدلالية ، ويسلط مع ذلك على المتقبل تأثيراً ضاغطاً به ينفعل للرسالة المبلغة انفعالاً ما " [٣] .

كما قد قسمها إبراهيم أنيس إلى أربعة أنواع وهي :

" أ – الدلالة الصوتية ب – الدلالة الصرفية ج – الدلالة النحوية د– الدلالة المعجمية او الاجتماعية " [٤]

هذه هي مختلف الأبحاث الدلالية التي دارت حول محور دراسة الدلالة والتي أنتجت أقساماً وأنواعاً للدلالة.

أنواع الدّلالة عند ابن جني

فأقواهن الدلالة اللّفظية ثم تليها الصناعية المعنوية . ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض[٥]. من خلال قوله هذا ، جعل الدّلالة اللفظية على رأس الدّلالات الأخرى ، وهذا ما يؤكده في موضع آخر ، فيقول :" فمنه جميع الأفعال . ففي كلّ منها الأدلة الثلاثة . ألا

---

[١]– اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص١٥٣ ،مرجعسابق.

[٢]– المرجع نفسه ، ص٧٢ .

[٣]– د. محي الدين صبحي ، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا ، ص١٩٤ .

[٤]– دلالة الألفاظ: مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٥– ١٩٨٤م ، ص٤٦–٤٨ .

[٥]– مهين حاجي زاده ، البحث الدلالي عند ابن جني إيران : ٢٠١٠ ، ص١٨ .

ترى إلى قام و "دلالة لفظه على مصدره " ودلالة بنائه على زمانه ، ودلالة معناه على فاعله . فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه".[١] ويمكن توضيح ذلك **بهـــذا المخطط :**

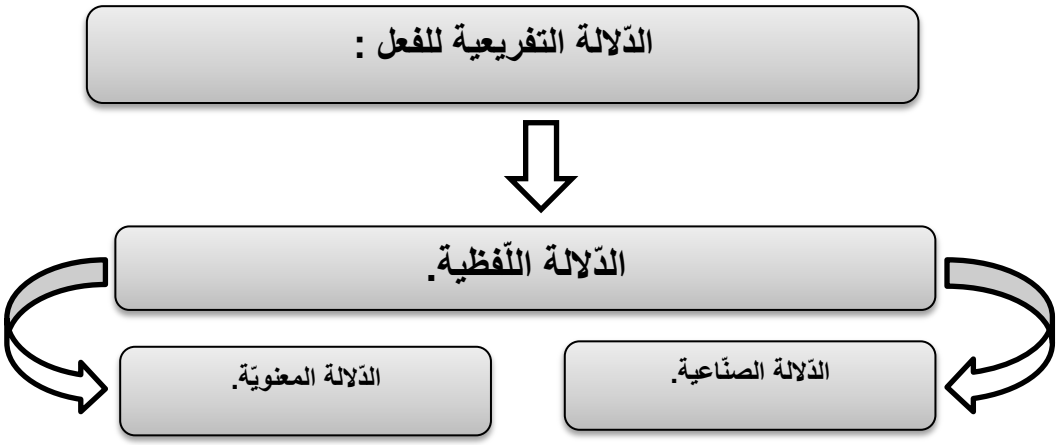

أ- **الدّلالة اللّفظية:** وتستمد هذه الدلالة من اللفظ –أصوات الكلمة– مثلا:دلالة الأصوات (ك س ر) على الـ"كسر" ودلالة الأصوات (ض ر ب) على الـ"ضرب" وعدّها ابن جني على رأس الدلالات الثلاث ، ويطلق عليها الدكتور فايز الداية مفهوم آخر وهو مفهوم ((الدّلالة الأساسية)) لأنها "تعد جوهر المادة اللغوية المشتركة في كل ما يستعمل من اشتقاقات وأبنيتها الصرفية "[٢] ويعلل على تصوره هذا بهذه الأمثلة :

ففعل "طحن" يدل بصيغته المعجمية على حدث خاص – دلالة الحدث –ذي دلالة معينة وهو المصدر ((الطّحن)) وهذا الفعل متعلق بالفاعل تعلقا معنوياً ، ومنه اشتقت صيغ أخرى لها ارتباط بالدلالة الأساسية للفعل . وأن قيمة الدلالة الأساسية للصيغة الصرفية تُعد المركز الأساس الذي يستقطب كل الدلالات المتفرعة عنه ، وهذا أمر يمكن أن نتقصاه في المصنفات الصرفية وكتب اللغة وفيما تورده

[١]– ابن جني ،الخصائص ، ص١٠٠(بتصريف) مرجع سابق.

[٢]–فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص٢٠ . مرجع سابق

المعجمات في طياتها ، أثناء عرضها لفروع كل أصل من الأصول ، ومن هنا نستنتج أن الدلالة اللفظية هي الدلالة المعجمية .

ب- **الدلالة الصناعيّة (الصرفية)** : هي الدلالة التي تلي الدلالة اللفظية مباشرةً ، لأن كل اللفظ يحمل صورة الحدث الدلالي ، وهي دلالة مستمد من صيغة الكلمة ، فمثلا : دلالة صيغة (فَعَلَ) على الفعل وزمنه ، يقول ابن جني في (باب الدّلالة اللّفظية الصناعية المعنوية) : " وإنما كانت الدّلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها ، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به ، فدخلا بذاك في باب المعلوم بالمشاهدة[١]"فالدلالة الصناعية هي صورة تلازم الفعل ، فأين كان هو مشاهداً معلوما كان الزمن المقترن به معلوما بالمشاهدة أيضا ، من مسموع اللفظ"[٢]مع أنّها دلالة غير لفظية ولكن يستلزمها اللفظ في حكم الدلالة اللفظية.

ت- **الدّلالة المعنوية** :فهي دلالة لاحقة بعلوم الاستدلال كما يقول ابن جني – وليست في حيز الضروريات – فالفعل يحدد سمات فاعله من دلالته "ألا تراك حين تسمع ضرب قد عرفت حدثه وزمانه ثم تنظر فيما بعد فتقول : هذا فعل ، ولاّ بد له من فاعل ، فليت شعري من هو ؟ وما هو ؟ فتبحث حينئذ إلى أن تعلم الفاعل من هو وما حاله ، ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعله كل مذكر يصح منه الفعل مجملاً غير مفصل [٣]"ففعل"ضرب" يدل على حادث مقترن بزمن الماض ، وأما دلالته على (فاعله) فهي دلالة إلزام . فالدّلالة المعنويّة هي مكونات الفاعل الجوهرية والعرضية. ويورد ابن جني في مضرب آخر تفريعا دلالياً لأفعال مختلفة : "ض ر ب" و " ك س ر " استخلص على ضوئها سمات معنوية عامة وهي على هذا النحو: كلّ " الفعل" يستلزم "فاعل" ولكل فاعل يحمل مكونات تمييزية جوهرية ، وسمات عرضية

---

[١]- ابن جني ، الخصائص ، ص٩٨،، ،مرجع سابق

[٢]- مهين حاجي زاده، البحث الدلالي عند ابن جني ، ص١٩، مرجع سابق.

[٣]- ابن جني، الخصائص، ج٣، ص، ٩٨ مرجع سابق.

تحدده : (حاله ، جنسه ، عدده ... وهلم جرا .) فكل (فعل) يستدعي بالضرورة (فاعلا معينا) و (مفعولا به معينا) إن كان متعديا...إلى غير ذلك.

أثبت ابن في جني في كتابة "الخصائص" أن علم الدلالة قديم ، تناوله اللغويون العرب القدماء ، وأن كثيراً من معطياته توصلوا إليها خلال دراستهم اللغة قبل الغربيين بقرون عديدة .

وكلّ ما ذكرناه من مباحث الدلالة عند علماء اللغة القدامى ، ما هو إلا عينة لأقطاب العلم من لغة وأدب وشريعة وغيرها من فنون المعرفة ، وأشرنا من خلالها إلى أنّ العرب القدامى لم يُهملوا الدلالة ؛ بل كانوا سباقين إلى مفاهيمها ، وإن لم يكن بمستوى الاصطلاحات الحديثة تبعا للحتمية والنسبية الزمنية في طبيعة الأشياء ، فقد جاءت معالجاتهم الدّلالية من منطلق طبيعتهم اللغوية – مع العلم أن لكل لغة خصائص تتميز بها – على الرغم أن الدلالة لم تكن في يوم من الأيام بوصفها علما من العلوم الإنسانية ، مستقلة عن بقية العلوم الأخرى ، بل كان لها بشكل دائم ، صلتها القوية مع علم اللغة ، وعلم النفس والفلسفة ... وما إلى ذلك ، ولا ينقص هذا من قيمة اللغة العربية ، بل يمنحها تمايزا تفردات به عن غيرها من اللغات الطبيعية[1] .

ومهما يكن من الأمر ؛ فإن جهود العرب القدامى في مجال علم الدلالة ، تبيّن أنهم أرادوا أن يضعوا للبشرية عملا في هذا الحقل ؛ كي ييسروا لهم الطريق ، وهذه الروح الأصلية في عملهم هي السرّ وراء خلود تراثهم وبقائه حيّا إلى يومنا هذا ، تستفيد منه الأجيال المتعاقبة ، والأمم المختلفة .

[1]– ابن جني ، الخصائص ، ص٩٩، مرجع سابق.

المبحـــث الثالث

تطـــــور الدلالة:

التطور الدلالي هو أحد جوانب التطور اللغوي، وميدانه الكلمات ومعانيها، ومعاني الكلمات لا تستقر على حال، بل هي في تغير مستمر لا يتوقف، ومطالعة أحد معاجم العربية تبرهن على هذا التطور وتبين أن معاني الكلمات متغيرة من عصر إلى عصر.

وللتطور الدلالي عوامل مختلفة تؤدي إليه، كما أن له مظاهر معينة يسلكها هذا التطور، وهو ما نحاول الوقوف عليه من خلال هذه الدراسة.

أولاً: عوامل التطور الدلالي:

ذكرنا أن من أهم جوانب التطور اللغوي هو تغير المعنى، والمعنى هو علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، ويقع التغير في المعنى كلما وجد تغير في هذه العلاقة[١]، ويظهر هذا التغير في صورتين:

الأولى : عندما يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة.

الثانية : عندما تضاف كلمة جديدة إلى مدلول قديم[٢].

والعوامل التي تؤدي إلى هذا التغير أو التطور كثيرة ومختلفة، فمنها عوامل مقصودة متعمدة، كقيام المجامع اللغوية والهيئات العلمية بوضع مصطلحات جديدة، أو إضفاء دلالات جديدة على ألفاظ قديمة لمجاراة التطور في مجالات الحياة المختلفة[٣]. وهذه العوامل تأثيرها محدود في اللغات، وهي لا تنال اهتمام الدارسين.

---

[١]– دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة– د.يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ص٩٣.

[٢]– ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة – د.كمال بشر،القاهرة ، ص١٥٢ .

[٣]– إبراهيم أنيس ١٣٤، دلالة الألفاظ، التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب ١١١، علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر ٢٤٢.

أما العوامل الأخرى غير المقصودة التي تتم بلا تعمد أو قصد فهي التي حظيت بالاهتمام والدراسة، وقد استطاع الدارسون المحدثون من خلال استقراء اللغات الإنسانية وتاريخها والأطوار المختلفة التي مرت بها أن يحددوا عدداً من الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى تطور الدلالة في كل اللغات الإنسانية، لأن لغات البشر على اختلافها تخضع لقوانين عامة في التغير والتطور[١]. كالحاجة إلى كلمة جديدة تعبر عن معنى جديد، والتطور الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإنسانية، والتطور الذي يحدث في اللغة نفسها من ناحية الصيغ والتراكيب والأساليب.

وقد وجدتُ من خلال البحث أن بعض هذه العوامل التي حددها علماء اللغة المحدثون كان قد تنبه لها علماؤنا الأوائل، وأشاروا إليها في أثناء مباحثهم وفي مؤلفاتهم.

إن من أهم العوامل التي تؤدي إلى تطور الدلالة الحاجة إلى كلمة جديدة تعبر عن معنى جديد لم يكن معروفاً من قبل، فالمتكلمون بلغة من اللغات عندما يستجد لديهم معنى جديد لم يكن معروفاً من قبل، يحاولون تعيين دالٍ له من ذخيرتهم اللفظية القديمة، وهنا تتغير العلاقة بين هذا اللفظ ودلالته القديمة، لأنه أصبح يدل على شيء آخر، قد تكون له علاقة بالمعنى القديم، مثل : المشابهة أو المجاورة[٢]، أو غير ذلك، وقد لا تكون ثمة علاقة بين المعنيين، يقول إبراهيم أنيس : "وينحرف الناس عادة باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ، وما تعلموه من كلمات، فهنا قد يلجئون إلى تلك الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها على التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد"[٣].

---

[١]- جوزيف فندريس، اللغة: مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٤٦ – ٢٤٧، علم اللغة، د. محمود السعران ٢٨٠.

[٢]- د. فايز الداية، علم الدلالة العربي: الجزائر،ص ٢٦٤، مرجع سابق.

[٣]- إبراهيم انيس، دلالة الألفاظ، ص ١٣٠، مرجع سابق.

وثمة حالات أخرى يكون فيها تغير المعنى غير مرتبط بأية حاجة، إنما يرجع إلى أسباب لغوية، وتاريخية، واجتماعية[١]. ومن الباحثين من صّنف هذه الأسباب في قسمين : القسم الأول : يرجع إلى أسباب خارجية، وهي التي يكون مصدرها الأشياء والحياة التي يعيشها المتكلمون، والقسم الثاني : يرجع إلى أسباب داخلية مرتبطة باللغة ذاتها وصيغها وتراكيبها وعلاقاتها بفصائلها اللغوية[٢].

فالتطور الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإنسانية يعد من الأسباب الخارجية التي تؤدي إلى انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد نتيجة لتطور العقل الإنساني ورقيه[٣].

أما الأسباب التي تأتي من داخل اللغة نفسها فهي ترجع في معظم الأحيان إلى الاستعمال، لأن اللغة وجدت ليتم التفاهم بها بين الناس، فهم يتداولون ألفاظها بينهم مثلما يتداولون الدراهم ويستبدلون بها الحاجات، غير أن التبادل باللغة يكون بوساطة الأذهان والنفوس، وهذه تختلف من شخص إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، لذلك فإن الدلالة تتشكل تبعاً لذلك، فهي تتنوع بتنوع التجارب والأحداث، وعندما ترثها الأجيال التالية من الأجيال السالفة، فإنها لا ترثها على حالها الأولى، وإنما تتلقاها مع بعض الانحراف في الدلالة، ثم يتعاظم هذا الانحراف مع توالي الأجيال.

وينجم عن استعمال اللغة وتداولها، أن تضاف دلالات جديدة إلى ألفاظ قديمة نتيجة سوء الفهم مثلاً[٤]، أو أن تبلى ألفاظ أخرى فيصيبها بعض التغير في الصورة يجعلها تشابه ألفاظاً أخرى فتدخل معها في دلالتها، فتختلط الدلالتان، ويرى بعض الباحثين أن هذا الأمر

---

[١]- ستيفن أولمان دور الكلمة في اللغة ١٥٤ – ١٥٦، علم الدلالة العربي ٢٦٥ – ٢٦٦.

[٢]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٢٦٦، مرجع سابق.

[٣]-. المرجع السابق ،ص ٢٣٨.

[٤]- د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص١٣٥، مرجع سابق.

يعد سبباً من أسباب نشأة ظاهرة الاشتراك اللفظي[1]. أو أن تهجر ألفاظ أخرى ويستعاض عنها بغيرها لتكون أقل وضوحاً في الدلالة على الأشياء التي تعبر عنها، وهو ما يسميه علماء اللغة المعاصرون بعامل (الابتذال أو اللا مساس) [2]. ويكثر ذلك في الألفاظ التي تعبر عن الحاجات الإنسانية والغرائز، والألفاظ التي ترتبط بالقذارة والدنس، لأن هذه الحاجات كثيراً ما يكنى عنها بكنايات معينة، غير أن كثرة استعمال تلك الكنايات يؤدي إلى شيوعها وابتذالها حتى تصبح أشد من التصريح، فتهجر تلك الألفاظ وتندثر من الاستعمال، وتحل محلها ألفاظ جديدة أكثر تعمية عن المقصود من الألفاظ القديمة، لكنها بمرور الوقت وكثرة التداول تفقد هذه الميزة، فتترك لتحل محلها ألفاظ أخرى، تدل دلالة غير مباشرة على المعنى المراد، وهكذا تدور الألفاظ في دورة متصلة.

وقد حفل القرآن الكريم بمثل هذه الكنايات التي لا تدل دلالة مباشرة على المعنى المقصود، فمن ذلك كلمة : (الغائط) التي تعني في اللغة : المكان المنخفض، أو الوادي، وقد جاءت في القرآن الكريم كناية عن قضاء الحاجة، نقل الزبيدي في معجم (تاج العروس) أن الغائط : "كناية عن العَذِرَة نفسها ... لأنهم كانوا إذا أرادوا ذلك أتوا الغائط وقضوا الحاجة، فقيل لكل من قضى حاجته : قد أتى الغائط، يكنى به عن العذرة. وفي التنزيل العزيز : ﴿**أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ** ﴾[3] ، وكان الرجل إذا أراد التبرز ارتاد غائطاً من الأرض يغيب فيه عن أعين الناس، ثم قيل للبراز نفسه ، وهو الحدث، غائط، كناية عنه إذ كان سبباً له"[4].

---

[1]- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٣٨، مرجع سابق.

[2]- المرجع نفسه، ص، ٢٤٠.

[3]- سورة النساء الآية ٤٣.

[4] -تاج العروس (غوط) ١٩/ ٥٢١ – ٥٢٢،مرجع سابق.

ومن أسباب التطور الدلالي التي تأتي من داخل اللغة نفسها : التبدل الناشئ من كثرة استعمال لفظ في موضع معين وبجوار ألفاظ معينة[١]. فكلمة (اتقى) تعني في الأصل : وقى نفسه ثم استعملت كلمة (التقوى) بمعنى أعم من المعنى الأصلي فأصبحت تفيد العمل الصالح، وأصبحت كلمات : (التقي والمتقي) تدل على الرجل الصالح، ذكر ابن منظور في معجم (لسان العرب) أن العرب تقول : "رجل تقي، ويجمع على أتقياء، معناه أنه مُوقٍ نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح، وأصله من وقيت نفسي أقيها"[٢]. ولفظ (الاحتيال) لم يكن يحمل أية دلالة سيئة، فقد قيل إنه مأخوذ من الحركة لأنَّ العرب تقول : "حال الشخص يحول إذا تحرك"[٣]. ثم أصبح بمعنى : "الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف"[٤]. ولكثرة استعمال هذا اللفظ في العبارات التي تتحدث عن تحصيل الرزق من بيع أو شراءٍ أو عملٍ، فيقال: (احتال لطعامه ولعيشه..) ونتيجة لما يصاحب ذلك أحياناً من غشٍ وغبن، وغير ذلك من الأمور الذميمة، حملت هذه اللفظة مع تقادم الأيام ظلالاً من هذه المعاني، فأصبحت كلمات : (الحيلة والاحتيال والمحتال) تفيد الذم القبيح.

ومن الألفاظ التي انحرفت عن دلالتها بسبب مجاورتها لألفاظ معينة واستعمالها في سياق معين من الكلام كلمة (الفشل)، وأصل معناها : "الفزع والجبن والضعف"[٥].

وقد يرجع تغير المعنى إلى أسباب نفسية خالصة، كالبواعث الإبداعية، والمجازات الفنية لغرض الاتساع والافتنان في التعبير، وهو ما يبرع فيه الأدباء والشعراء وأرباب البلاغة : "ذلك أن الفكرة التي يطالع بها المبدع قارئه، أو الانفعال الذي تتكون منه قصيدة، يحتاجان إلى هيئة فنية خاصة، تُنْحَت من المادة اللغوية ذاتها، بإيقاعها وموسيقاها وبحيوية فاعلة تجعل اللغة تتسع لتجربة فيها الصورة المجازية والاستعارية، وههنا يمسك الباحث الدلالي

١- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت، دار الفكر، ص ٢١٢.

٢- أبن منظور،لسان العرب (وقي) دار صادر، ٤٠٣/١٥، مرجع سابق.

٣- أبن منظور،الزمخشري محمد بن عمر ، أساس البلاغة،بيروت، دار صادر، (حول) ص١٤٨.

٤- أبن منظور،لسان العرب (حول)، ١٨٥/١١،مرجع سابق.

٥- أبن منظور،لسان العرب (فشل)، ٥٢٠/١١،مرجع سابق.

طرف المسألة ليدرس لغة الشاعر المجازية وهي أعلى مرتبة لاستخراج قدرات البناء اللغوي، من تغيير المعنى ونقله، أو تحريكه في اتجاهات يتسع في بعض منها، ويضيق في بعض آخر" [1].

وقد رأى بعض الباحثين المعاصرين: " أن الكثير من حالات التغير والتحول الدلالي إنما هي نتيجة لسبل عديدة لا يسهل حصرها لتشعبها ولغرابتها كذلك"[2].

ولذا فمن الصعب أن نتحدث عن القوانين الدلالية بالدقة العلمية لكلمة (قانون).

وفي تاريخ اللغة العربية كان أبو حاتم الرازي (المتوفى سنة ٣٢٢هـ) في كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية) رائداً في دراسة التطور الدلالي، فقد تناول مجموعةً من الألفاظ الإسلامية المتطورة دلالياً، وعرض في أثناء دراستها لأمور تتصل بتاريخ العربية وتأصيل الدلالات واشتقاق الجديد من القديم.

وقد حدد الرازي أقسام الرصيد اللغوي للعربية، فرأى أن تلك اللغة :

١- إما قديمة موروثة بألفاظها ودلالاتها، وهذا يقابل ما يسميه المحدثون بـ(الشطر المستمر من الدلالات) [3].

٢- وإما ألفاظ قديمة منحت دلالات جديدة بعد مجيء الإسلام، أي أنها أصابها التطور الدلالي فَعُمِّم معناها أو خُصِّص أو نُقِل إلى معنى آخر، وكانت من قبل مستعملة في دلالات أخرى.

٣- وإما ألفاظ جديدة في صيغها ودلالاتها، وهي من البنية الصرفية العربية نزل بها القرآن أو دل عليها الرسول ﷺ، ولم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

---

[1] -علم الدلالة العربي ٣٧٨، وينظر: دلالة الألفاظ ١٣١، علم الدلالة، ٢٤٢مرجعسابق.

[2]- علم الدلالة العربي ، ص ٢٦٦- ٢٦٧ ، مرجع سابق.

[3]- سوسور،علم اللغة العام، ص ٩٠ – ٩١ ،مرجع سابق.

٤- وإما ألفاظ أعجمية اقترضتها العرب من لغات الأمم الأخرى وعربتها، أي أنها صاغتها على أبنيتها وأنشأتها على أوزانها فأصبحت من نسيج العربية ولم تعد تمت إلى أصولها القديمة بسبب.

يقول الرازي مبيناً أنواع الأسماء التي ابتغى تفسيرها في كتابه : "فمنها ما هي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة، ومنها أسام دل عليها النبي صلى الله عليه [وسلم] في هذه الشريعة ونزل بها القرآن، فصارت أصولاً في الدين وفروعاً في الشريعة لم تكن تعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب، وأَسامٍ جاءت في القرآن لم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم، مثل : تسنيم وسلسبيل وغسلين وسجين والرقيم وغير ذلك ... "[١].

فكلمة (تسنيم) جاءت في قوله تعالى : ﴿ومزاجه من تسنيم..﴾[٢] ، قال أبو عبيدة : (تسنيم عين في الجنة) [٣]. وذكر المستشرق (نولدكه) : أن هذا اللفظ لا يوجد له أصل في الشعر الجاهلي، ولا في اللغات السامية القديمة، وعَدَّه من الكلمات التي نطق بها القرآن الكريم[٤].

وكلمة (سلسبيل) في قوله تعالى : ﴿عَيْنًافِيهَاتُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[٥] قال الزجاج في تفسيرها : "وسلسبيل اسم العين إلا أنه صرف لأنه رأس آية، وسلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة، فكأَنَّ العَين . والله أعلم . سميت بصفتها"[٦]. وجاء في (لسان العرب) : "والسلسبيل السهل المدخل في الحلق، ويقال : شراب سلسل وسلسال وسلسبيل. قال ابن الأعرابي: لم أسمع سلسبيل إلا في القرآن"[٧].

---

[١]- أبو حاتم الرازي ، الزينة في الكلمات الإسلامية: القاهرة ، ط١٣٤/٢ - ١٣٥.
[٢] - سورة المطففين الآية: ٢٧.
[٣]- (معمر بن المثنى)، مجاز القرآن لأبي عبيدة ط١، القاهرة ، ص٢٩٠.
[٤] - الزينة في الكلمات الإسلامية، / ١٣٤ الهامش ٥،مرجع سابق.
[٥]- سورة الإنسان :الآية ١٨ .
[٦]-الزجاجي (إبراهيم بن السري معاني القرآن وإعرابه)، تحقيق عبد الجليل شلبي ، بيروت ، ط١/ ٢٦١.
[٧]- لسان العرب: (سلسل)، ٣٤٤/١١،مرجع سابق .

ولفظة.. (سجّين) في قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ)[1] ، قال أبو عبيدة : (لفي سجين) في حبس، فِعِّيل من السجن[2]. وقال الزجاج : "المعنى كتابهم في حبس، جعل ذلك دلالة على خساسة منزلتهم، وقيل : (في سجين) في حساب"[3]، وقد نسب السيوطي (ت ٩١١هـ) إلى أبي حاتم الرازي أنه عد هذا اللفظ من الألفاظ المعربة، وهذا وهم منه[4].

ونلاحظ الحيرة لدى علماء اللغة في تفسير هذا اللفظ، فما معنى حبس كتاب الفجار؟ وما علاقة ذلك بخساسة المنزلة؟ والذي يبدو . والله أعلم . أن هذا اللفظ من الألفاظ التي نطق بها القرآن، ولم تكن تعرفها العرب قبل ذلك. وقد ذكر (نولدكه) : أن هذا اللفظ لا يوجد له أصل في اللغات السامية القديمة[5].

ولفظة.. (الرقيم) جاءت في قوله تعالى: ﴿**حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾[6]

قال بعض المفسرين: إن (الرقيم) اسم الوادي الذي كان فيه الكهف. وعن ابن عباس أن (الرقيم) لوح كتبت فيه أسماؤهم، وعن مجاهد بن جبر مثله[7].

وأهل اللغة يقولون : هو فعيل بمعنى مفعول، أي رقيم بمعنى مرقوم : أي . مكتوب[8].

ويعرض أبو حاتم الرازي بعض الكلمات العربية المتطورة دلالياً في حركة متصلة، ويمثل لها بما يرتبط بالاشتقاق، سواء منه القريب أو ما يأتي بأساليب أخرى، تغنى فيها اللفظة

---

[1]- سورة المطففين:٧ الآية .

[2]- ، مجاز القرآن ، ٢٨٩/٢.

[3]- معاني القرآن، للزجاج، مصدر سابق ٢٩٨/٥، مرجع سابق.

[4]- السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، ١١٢/٢، مرجع سابق.

[5]- الزينة، ١٣٥/١ الهامش٢،مرجع سابق

[6]- سورة الكهف : الآية ٩ .

[7]- (تفسير الطبري)، جامع البيان في تفسير القرآن تحقيق محمود شاكر، دار المعارف (د.ت) ١٣١/٨.

[8]- القرطبي محمد بن أحمد الجامع لأحكام القرآن: (تفسير القرطبي) ، ط٢ ، بيروت ، ٣٥٧/١٠، لسان العرب (رقم).

بالمشابهة وبطريقة استعمالها، فربما دعي الشيء باسم لا يُعْرَفُ اشتقاقه من أي اسم هو، وربما دُعِيَ باسم "اشتق من معنى تقدمه، قد فسر العلماء اشتقاقه والمراد فيه، كقولك : (آدم)، قالوا : سمي بذلك، لأنه أخذ من أديم الأرض، و(الإنس)، قالوا : سمي بذلك لظهورهم، ويقال : آنست الشيء. إذا أبصرته، و (الجنَ)، قالوا : سُمَّي بذلك لاستخفائهم، يقال : "اجتنَّ إذا استخفى"[١].

وقد عرف علماء اللغة القدامى والمعاصرون أن الحاجة أو الضرورة هي التي تدعو أهل لغة ما إلى اقتراض بعض الكلمات التي لا توجد في لغتهم من لغات أخرى واستعمالها، فاللغات يستعير بعضها من بعض، وهذا قانون عام في جميع اللغات، وهو أيضاً سبب من أسباب التطور الدلالي[٢]. يقول الأستاذ محمد المبارك : "ومن أسباب تبديل معاني الألفاظ تأثير اللغات الأجنبية، بإشراب الكلمة العربية معنى الكلمة الأجنبية المقابلة لها أو إعطائها معناها، كاستعمال الأطباء اليوم كلمة (تدخُّل) بمعنى العملية الجراحية، واستعمالنا كلمة (الوسط) للبيئة والمحيط كذلك، و (التحليل) للشرح والتفسير، و(المدرسة) بمعنى المذهب، و (الدور) بمعنى النوبة. فهي ترجمة حرفية للألفاظ الفرنسية.. "[٣].

قد أشار اللغوي (أولمان) إلى أن تغير العلاقة بين اللفظ والمدلول يظهر في صورتين :

إحداهما: أن يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة، والثانية: أن تضاف كلمة جديدة إلى مدلول قديم[٤]. والصورة الأولى من صور التغير الدلالي قد استحوذت على اهتمام الدارسين الدارسين حتى كادت تنسيهم الصورة الثانية، على اعتبار أن اللفظ ثابت ومعناه هو المتبدل، لذلك لم تلق الصورة الثانية من صور التغير الدلالي . وهي بقاء المعنى ثابتاً وتغير اللفظ الدال عليه . قدراً كافياً من الاهتمام، ويبدو أن الأسباب الخاصة بتغير معاني الألفاظ، هي

---

[١]- الزينة ١٣٢/١، ١٧٢/٢ – ١٧٨، أساس البلاغة ٢٢(أنس)،مرجعسابق.

[٢]- دلالة الألفاظ ، ١٤٨ – ١٤٩، مرجع سابق.

[٣]- محمد المبارك،فقه اللغة وخصائص العربية ،ص ٢١٦، مرجع سابق.

[٤]- ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر ، القاهرة ص ١٥٢.

نفسها أسباب تغير الألفاظ ذاتها أيضاً[1]. وقد تنبه أبو حاتم الرازي في مقدمة كتابه (الزينة) إلى هذا الوجه من أوجه التطور الدلالي حين حدد الأسماء التي يريد تفسير معانيها في كتابه فقال : "ومنها أسامٍ دل عليها النبي صلى الله عليه [وسلم] في هذه الشريعة ونزل بها القرآن، فصارت أصولاً في الدين وفروعاً في الشريعة لم تكن تعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب"[2]. فمن ذلك كلمة (الجهاد) وهو اللفظ الذي جاء به القرآن بدلاً من (الحرب والغزو والإغارة)، فتغير الدال على الحرب لتغير مفهومها في الأذهان.

يقول أحد الباحثين المعاصرين: "والجهاد بهذه الصيغة لم تصادفني فيما قرأته وبحثت فيه من دواوين الشعر الجاهلي.." [3]. فهي استعمال إسلامي جديد.

وجاء في كتاب (المزهر) للسيوطي : "إن لفظ (الجاهلية) اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة، و(المنافق) اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية.." [4].

وثمة أسباب وعوامل أخرى أحصاها المحدثون تؤدي إلى تطور الدلالة، ومن أهم تلك الأسباب والعوامل :

١ – استعمال بعض الكلمات في مدلولات معينة :

إن مدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالات التي يكثر فيها استعمالها، فكثرة استعمال العام في بعض ما يدل عليه تجعله بمرور الأيام خاصاً، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، ومن ذلك جميع المفردات التي كانت عند العرب في الجاهلية عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة تتعلق بشؤون الدين وشعائره، كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود وغير ذلك من الألفاظ.

---

[1]– محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص ٢١٧ ،مرجعسابق.

[2]– ابو حاتم الرازي، الزينة، ١٣٤/١ ،مرجع سابق.

[3]– عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، ص ٢٨٧،.

[4]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ٣٠١/١.

وكثرة استعمال الخاص في معان عامة تزيل عنه خصوص معناه وتكسبه العموم[١].

ومن ذلك كلمات : البأس والورد والحُوَّة ... إلخ، فالبأس في الأصل الشدة في الحرب، ثم كثر استعماله في كل شدة، فاكتسب الدلالة على العموم من هذا الاستعمال، وأصل الورد : إتيان الماء وحده. ثم صار إتيان كل شيء ورداً، لكثرة استعماله في هذا المعنى العام. والحُوَّة في الأصل لون من ألوان الخيل وهو "سواد يضرب إلى الخضرة، وقيل : حمرة تضرب إلى السواد.. شفة حواء : حمراء تضرب إلى السواد، وكثر في كلامهم حتى سموا كلَّ أسود أحوى ... ". [٢] فيقال : ليل أحوى، وشعر أحوى أي أسود، ورجل أحوى : شاب أسود الشعر[٣].

٢ – غموض معنى الكلمة:

وكلما كان مدلول الكلمة واضحاً في الأذهان قلَّ تعرضه للتغيير، وكلما كان مبهماً غامضاً كثر تقلبه وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف فعندما تكون الكلمة مرتبطة بفصيلة من الكلمات معروفة الأصل فإنَّ ذلك يساعد على إيضاح مدلولها، أما عندما لا تكون لها أسرة معروفة الأصل متداولة الاستعمال فذلك يؤدي إلى غموض معناها وإبهامه[٤]. لأن "عُرى الأسرة المعنوية تمسك كل كلمة في معناها التقليدي.. أما إذا تراخت عُرى الأسرة أو انفصمت لم يبق شيء لمنع المعنى من أن يضل الطريق.." [٥].

٣ – التطور الصوتي :

وقد يكون التطور الصوتي سبباً في التطور الدلالي أحياناً، فثبات أصوات الكلمة يساعد

---

[١]– د. علي عبد الواحد وافي،علم اللغة، ٣١٩ – ٣٢٠، مرجع سابق.

[٢]– ابن منظور، لسان العرب : (حوا)، ٢٠٦/١٤ – ٢٠٧،مرجع سابق،

[٣]– أحمد مختار عمر . أسس علم اللغة ، ص١٤٩، مرجع سابق.

[٤]– علم اللغة، وافي، ٣٢١ – ٣٢٢، مرجع سابق

[٥]– فندريس، علم اللغة، ٢٥٠ مرجع سابق

على ثبات معناها، وتغير أصواتها يساعد على تغير معناها، لأن تغير صورة الكلمة الصوتية يضعف صلتها في الأذهان بأصلها وأسرتها، وهذا يجعل معناها عرضة للتغير والانحراف[١]. فتطور أصوات الكلمة قد يجعلها تصبح مماثلة لكلمة أخرى لها معنى آخر فيختلط المعنيان وينجم عن ذلك معنى جديد، ومن ذلك كلمة (كماش) الفارسية، وتعني : (نسيج من قطن خشن) قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً، فشابهت الكلمة العربية (قُماش) وتعني : "ما كان على وجه الأرض من فُتات الأشياء.. حتى يقال لرُذالة الناس قماش.. وقُماش البيت : متاعه" [٢]. وأصبحت هذه الكلمة ذات دلالة جديدة على المنسوجات[٣].

٤ – اختصار العبارة:

ومن العوامل التي تؤدي إلى التطور الدلالي اختصار العبارة، وذلك عندما يستعاض بكلمة واحدة من عبارة، لتؤدي المعنى الذي تؤديه العبارة كاملة، وعندئذ تتغير دلالة هذه الكلمة بمرور الأيام، وتصبح الصلة غير واضحة بينها وبين معناها الجديد، كقولهم : (فلان من الذوات) أي : من الأغنياء، فكلمة (ذوات) بلا شك مختصرة من عبارة (ذوات الأملاك)[٤].

٥ – كثرة الاستعمال:

ومن عوامل التطور الدلالي كثرة دوران الكلمة في الحديث، فإننا "نلاحظ أن معنى الكلمة يزيد تعرضاً للتغير كلما زاد استعمالها، وكثر ورودها في نصوص مختلفة، لأن الذهن في الواقع يُوَجَّهُ كل مرة في اتجاهات جديدة، وذلك يوحي إليه بخلق معان جديدة، ومن هنا ينتج ما يسمى (بالتأقلم ...) يجب أن نفهم من هذا الاسم، قدرة الكلمات على اتخاذ دلالات

---

[١]– علم اللغة، وافي، ٣٢٢، مرجع سابق

[٢]– تاج العروس (قمش)، ١٧/٣٤٠ – ٣٤١، مرجع سابق.

[٣]– رمضان ، التطور اللغوي، ص ١١٢ ، مرجع سابق.

[٤]– التطور اللغوي، ص١١٣،مرجع سابق.

متنوعة، تبعاً للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها، وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات، وعندنا مثال جميل عن التأقلم في كلمة (bureau) : (مكتب)، إذ كانت تدل في الأصل على نوع من نسج الصوف الغليظ.. ثم أطلقت على قطعة الأثاث التي تُغطى بهذا النسج، ثم على قطعة الأثاث التي تستعمل للكتابة أياً كانت، ثم على الغرفة التي تحتوي على هذه القطعة من الأثاث، ثم على الأعمال التي تعمل في هذه الغرفة، ثم على الأشخاص الذين يقومون بهذه الأعمال، وأخيراً على أية مجموعة من الأشخاص تقوم بإدارة إحدى الإدارات أو الجمعيات.

٦ – الإبتذال أو الانحطاط لمعنى الكلمة:

ومن عوامل التطور الدلالي كذلك : عامل : (الابتذال أو الانحطاط) الذي يصيب الألفاظ في كل لغة، لظروف سياسية أو اجتماعية أو عاطفية، فكلمة (الحاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسية : (رئيس الوزراء) ثم انحدرت في وقتنا الحاضر إلى معنى (البواب)، وكلمة (الوزير) العربية أصبحت تعني في الإسبانية (الشرطي) [١]. وهذا العامل هو في حد ذاته أحد مظاهر التطور الدلالي كما سنرى.

إن أسباب تغير المعنى كثيرة ومتنوعة، قد تستعصي على الحصر، وقد ذكر بعض علماء الدلالة المعاصرين أكثر من واحد وثلاثين سبباً لتغير المعنى، ثم انتهى إلى القول : "إن عملية تغير المعنى مسألة صعبة ومعقدة، وبعضها فريد في نوعه، وعلى الرغم من ذلك يمكن استنباط عدة أسباب مهمة لتغير المعاني، وهذه الأسباب لغوية وتاريخية ونفسية، ومنها التأثير الأجنبي والحاجة إلى اسم جديد"[٢].

لقد وقفنا فيما سلف على أهم عوامل التطور الدلالي التي ذكرها معظم علماء اللغة في القديم والحديث، وبقى أن نتعرف على أهم المظاهر التي يبدو فيها هذا التطور.

---

[١]– أنيس،دلالة الألفاظ، ص ١٣٥، مرجع سابق.

[٢]– حاكم مالك لعيبي، الترادف في اللغة، بغداد ، ص١٥.

ثانياً : مظاهر التطور الدلالي :

تبين لنا فيما سلف أن الكلمة قد تتطور دلالتها وتتغير من عصر إلى عصر، وعرفنا أهم العوامل أو الأسباب التي تؤدي إلى ذلك التطور والتغير، وبقي أن نعرف المظاهر التي يتجلى فيها ذلك التطور.

فمن خلال استقراء التغيرات التي تطرأ على معاني الكلمات في اللغات المختلفة، استطاع علماء اللغة المعاصرون أن يحصروا التطور الدلالي في مظاهر رئيسة تصدق على اللغات جميعاً، وبحسب تقسيم منطقي اتبعوه وجدوا أن المعنى القديم للكلمة : "إما أن يكون أوسع من المعنى الجديد، أو أضيق منه، أو مساوياً له، ولم تكن هناك إمكانية رابعة يدخلونها في حسبانهم"[١].

وبذلك نجد أن أهم مظاهر التطور الدلالي التي تصيب الألفاظ ثلاثة، هي: تخصيص دلالة الكلمة، أو تعميم دلالتها، أو تغيير مجال استعمالها : يقول اللغوي (ج. فندريس) : "ترجع أحياناً التغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع : التضييق والاتساع والانتقال، فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص وهناك اتساع في الحالة العكسية أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام.. وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص".[٢]

ولا بد من القول إن علماءنا الأوائل قد تنبهوا إلى هذه المظاهر الثلاثة من مظاهر التطور الدلالي، وأغنوها بالبحث والأمثلة الكثيرة، كما سنرى عند دراسة هذه المظاهر، وثمة مظاهر أخرى للتطور الدلالي ستذكر في مواضعها من هذه الدراسة.

---

[١]- دور الكلمة في اللغة، ص ١٦٢،مرجع سابق.

[٢]- على عبد الواحد، علم اللغة، ص٢٥٦،مرجعسابق.

هذه أهم مظاهر التطور الدلالي التي وقف عندها علماء العربية في القديم والحديث، وثمة مظاهر أخرى لهذا التطور وهي تعد أيضاً من ضروب انتقال الدلالة، وتتعلق بعوامل نفسية واجتماعية، من مثل : سمو الدلالة وانحطاطها، والمحظور، وحسن التعبير، والتحول نحو المعاني المضادة، والمبالغة، وغير ذلك من المظاهر التي أثراها الباحثون المحدثون بالدراسة والأمثلة الكثيرة[١].

قد عرفنا من خلال هذه الدراسة الموجزة أهمية علم الدلالة في العصر الحديث، وأن اللغات الإنسانية واللغة العربية إحداها في حالة تطور مستمر وبخاصة في مجال الدلالة، وقد وقفنا عند العوامل والأسباب التي تؤدي إلى التطور الدلالي كالحاجة، والأسباب اللغوية، والتاريخية والاجتماعية.

كما وقفنا عند المظاهر التي يتجلى فيها التطور الدلالي، ومن أهمها : تخصيص الدلالة وتعميمها وانتقالها من مجال إلى مجال آخر، بعلاقة المشابهة كما في الاستعارة، أو بغير علاقة المشابهة كما في المجاز المرسل.

وقد لاحظنا من خلال هذا البحث أن علماء العربية المتقدمين كابن جني وابن فارس والسيوطي وغيرهم قد حددوا عوامل التطور الدلالي، وعرفوا مظاهره المختلفة، وذكروا كثيراً من المفردات التي تطورت دلالاتها مما يدل على إلمامهم وإحاطتهم بهذا العلم.

---

[١]- دلالةالألفاظ، ص١٥٦ – ١٦٠،مرجع سابق.

المبحث الرابع

التغير الدلالي

عوامل التغير في الدلالة :

الألفاظ وجدت ليتداولها الناس وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية كما يتبادلون بالعملة والسلع، ونرى الناس يختلفون في حدودها الهامشية وفي ظلاها وما يكتنفها من ظروف وملابسات، وتتنوع بتنوع التجارب وبتضخم الانحراف بتوالي التجارب.

ويرى د.إبراهيم أنيس أن التطور الدلالي حصل نتيجة أسباب يردها إلى عاملين:

العامل الأول: الاستعمال:

فالألفاظ تستخدم عبر الأجيال، ونتيجة استخدامها، يغرم إناس بمعاني الألفاظ الهامشية، ويبقى معظم الناس يشتركون في استعمالها على معناها المركزي .

ويرث الجيل التالي ما شاع من دلالات هامشية ومركزية، ومع توالي الأيام يتضخم الانحراف، وتصبح الدلالة الهامشية شائعة، ويبدو للجيل الوارث للكلمة معنيين أو دلالتين مع أن الرابط بينهما ضيق[1].

من عوامل التطور:

أ/ سوء الفهم:

ذلك إن الفرد عندما يسمع اللفظ لأول مرة فيسيء فهمه، ويوحى إلى ذهنه دلالة عربية لاتمت إلى عبارة المتكلم بصلة، وقد لا تتاح للسامع فرصة لتصحيح خطأه ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطاً بالدلالة الجديدة، ورب إشارة أو غمزة عين بالصدفة تؤثر في دلالة اللفظ، ويتم مثل هذا في حالة انعزال أفراد الجيل الناشئ وجيل الكبار .

وربما تبقى جنباً إلى جنب مع تلك الدلالة الجديدة، وربما يتوهم الناس أن للفظ دلالتين، وهنا ينشأ ما يسمى بالمشترك اللفظي، وقد يروي الشعراء للفظ دلالات متباينة

[1] – د. عبد القادر أبو شريفة، علم الدلالة والمعجم العربي، ط١، عمان: ١٩٨٩م دار الفكر – ،ص٨٣ .

يستوى لفظها ويختلف معناها فكلمة(غروب) مفردة أو جمعاً ذات دلالات ثلاث في قول الشاعر: [1]

ياويح قلبي من دواعي الهوى إذا رحل الجيران عند الغروب

اتبعهم طرفي وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب

بانوا وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل أقاحي الغروب

فالغروب في البيت الأول لوقت الغروب، وفي الثاني الدلاء، وفي الثالث للوهاد المنخفضة، وربما يقع سوء الفهم نتيجة للقياس الخاطئ، قد يلجأ الشخص إلى قياس ما لم يعرف على ما عرف من قبل ويستنبط على أساس هذا القياس، فيصب في استنباطه حيناً ويخطئ حيناً آخر، فيستخرج دلالة قد تصادف الشيوع والذيوع كتسمية الأطفال للفرملة بالوقافة [2] .

ب/ بلي الألفاظ:

قد يصيب بعض التغير في الصورة، ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظاً آخر فتختلط الدلالتان، ويصبح اللفظ ما يسمى بالمشترك اللفظي، فكلمة (القماش) المألوفة لنا إذا بحثت عنها في معجم الفيروز أبادي، فلا تراه يذكر لها من المعاني إلا أراذل الناس، أو ما وقع على الأرض من فتات (الأشياء) ! غير أن الجوهري يذكر أن من معاني القماش متاع البيت فأشبهت الكلمة الفارسية (كماش) بمعنى نسيج من قطن خشن وانصرفت دلالتها إلى الدلالة الفارسية بمعنى النسيج؛ وكلمة (خيشوم) التي تعني الأنف صارت بعد أن أصابهما البلي فاختصرت إلى (الخشم).

ج/ الابتذال:

نراه يصيب بعض الألفاظ من كل لغة لأسباب، منهما السياسي والاجتماعي

---

[1]- شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٠٠-١٧٠هـ، مطبوعات الجمعية الاسلامية للخدمات الصحفية، جمع الاستاذين حامد ضامن وضياء الدين الحيدري، بغداد، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م مطبعة المعارف ، ص٧ .

[2]- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، القاهرة، ج١، دار انعسكر للطباعة والتوزيع ص٣٧٦ .

والعاطفي، لعل أقرب مثل لهذا هو إلغاء الألقاب والرتب، فانزوت كلماتمثل : (عمدة وأمير، وناظر). ومن الابتذال المرتبط بالنواحي النفسية، والعاطفية، وذلك كأن يكون اللفظ قبيح الدلالة أو يتصل بالغزارة، أو الغرائز الجنسية، وكذلك كل ما يتعلق بالزنا وهتك الأعراض والعربدة، وبلغ عن العرب أنهم كنوا عن أسماء الزوجة والملابس والعملية الجنسية بألفاظ كريمة هي الستر والحرث والإفضاء والمباشرة والملامسة والدخول والرفث وغير ذلك .

وأصبح العامة يتحاشون كلمة (نكاح) التي تعني الزواج، وكانت مقبولة عند العرب وتعطي الدلالات التي يفزع منها السامع او يتشاءم بغلالة رقيقة تقلل من وضوحها وتقوي هذه الظاهرة في البيئات البدائية، يقولون للحمى المبروكة، ويكنون عن الموت والمرض والشياطين، وبعض الحيات كنايات تشير إشارة بعيدة تفادياً لشرها[1].

العامل الثاني الحاجة:

فهناك نوع من التطور يكون وليد الحاجة إلى التجديد، ويتم عن عمد ألفاظ اللغة على أيدي الموهوبين كالشعراء والأدباء.

عناصر الحاجة ودوافعها:

١ / التطور الاجتماعي:

كل تطور في حياة الأمة يترك أثراً واضحاً في لغتها. وتستجيب الأمم عادة لمظاهر الحياة، فتعمل على تغير الدلالات في بعض ألفاظها لمسايرة الزمن، فلجأ الإنسان إلى إزاء الضرورة إلى وسيلتين: يعمد إلى الألفاظ القديمة فيحي بعضها ويطلقه على مستحدثاته ملتمساً في هذا أدنى ملابسة كالسيارة والقطار والثلاجة وغيرها من الألفاظ التي أحياها الإنسان، واشتقوها وخلعوا عليها دلالات جديدة، ويحاول المجتمع اللغوي وضع كثير من تلك الألفاظ التي تسد حاجة المجتمع في النواحي المختلفة[2] .

٢/ قد تدعو الحاجة إلى الالتجاء إلى الفاظ اللغات الأجنبية فيستعار منهما، وتكون

---

[1]- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٤م ، ص١٤٥- ١٤٦ .

[2]- إبراهيم أنيس ،دلالة الألفاظ، ص١٤٩، مرجع سابق.

الاستعارة لمجرد الإعجاب بالأجنبي، وقد استعار العرب من الفرس واليونان الفاظاً للتعبير عن أشياء ليست في بلاد العرب، وجعلوها على نسيج الكلمات العربية، وسموها بالمعربة، وتركوا البعض الآخر على صورته وسموه بالدخيل، فاستعارة اللفظ الأجنبي على الرغم من وجود نظير أصيل له يعبر عن نفس المعنى، تؤدي إلى تطور في دلالة اللفظ الأصيل فينزوي، وتصبح حينئذ للفظ الأجنبي.

وعرف العرب لفظ حرير فاستعاروا منه ألفاظاً مشابهة كالسندس، والاستبرق والديباج، اقتصرت دلالة الحرير على المعنى العام[١] .

تغير الدلالة:

اللغة انعكاس للضمير البشري، وتطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل الكلمات، يلمسها كل دارس في مراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية.

أسباب التغير:

١- كثرة الاستعمال تؤدي إلى تغير مدلول الكلمة؛ وذلك لأن الألفاظ لم تخلق لتخزن ولكنها وجدت ليتداولها الناس في حياتهم الاجتماعية، غير أن التداول أو التبادل بها يكون عن طريق الأذهان والنفوس، تلك التي تتباين بين أفراد الجيل الواحد، والبيئة الواحدة في التجربة والذكاء، وتتشكل وتتكيف تبعاً لها [٢] .

٢-تغير المعنى: يحدث التطور الدلالي تدريجياً في أغلب الأحوال، ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير في المعنى، وإن تغيرات المعنى غالباً ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعي، وإن هذه الميول الاجتماعية، أوضح في حالة (التغير الدلالي) منها في حالة (التغير الصوتي) .

وقد استطاع اللغويون بعد طول النظر فيما يطرأ على المعاني من تغيرات في لغات كثيرة

---

[١]- إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص١٤٦-١٤٨ ، مرجع سابق.

[٢]- المرجع نفسه ، ص١٤٩-١٥٠ ،

أن يحصروا هذه التغيرات في أنواع رئيسيه تصدق على جميع اللغات، وتأخذ الآن في التعريف بأنواع التغير الدلالي:

أ/ التغير الانحطاطي أو (الخافض) هذا النوع من التغير في المعنى يصدق على الكلمات التي كانت تعد نظر الجماعة نبيلة (رفيعة)، (قوية) نسبياً ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة، أو أصبح لها ارتباطات تزدريها الجماعة.

ب/ التغير المتسامي: يتضح من اسم هذا النوع من أنواع التغير في المعنى أنه يطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تشير إلى معانٍ (هينة)، (وضعية)، (ضعيفة) نسبياً ثم صارت تدل في نظر الجماعة الكلامية على معانٍ أرفع أو (أشرف) أو (أقوى)، ومن ذلك أن كلمة (Marshal) الإنجليزية كانت تعني في وقت من الأوقات الغلام الذي يتعهد الأفراس (Mares) أي صبي اسطبل[١] .

ج/ التغير نحو التخصيص أو (تخصيص المعنى): كثيراً ما يحدث في اللغات جميعاً أن تخصص الفاظ كان يستعمل كل منها للدلالة على طبقة عامة من الأشياء فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، ومن ذلك أن الكلمة الروسية(Shtrat) وهي مأخوذة من الألمانية، كانت تعني أولاً العقوبة بوجه عام، ثم صارت تدل على (الغرامة المالية) ليس غير [٢] .

د/ رقي الدلالة :

وكما يصيب الألفاظ انحطاط في الدلالة فيصيبها رقي ايضاً، ولكنه أقل حدوثاً وشيوعاً من الانحطاط، فالبيت كان يدل على بيت من الشعر وهو الآن يدل على البيت المستقل الجميل (الدار) [٣].

---

[١]- علم اللغة، مقدمة القارئ العربي، ص٢٨٢.

[٢]- ص٢٨٣ نفس المصدر السابق.

[٣]- علم الدلالة والمعجم العربي، ص٦٩.

الفصل الثالث:

أثر الدلالة الصوتية في سورة النازعات

المبحث الاول: أثر الدلالة الصوتية للمقاطع

المبحث الثاني: أثر الدلالة الصوتية للتنغيم

المبحث الثالث: تطبيقات عن أثر الدلالة الصوتية

المبحث الاول:

أثر الدلالة الصوتية للمقاطع

أثر الدلالة الصوتية للمقاطع في القرآن :

انصبت عناية القرآن العظيم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب، و توهج العبارة في منظار حياتهم، و حدب البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللفظ في الجمله وتناغم الحروف في تركيبها وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعها، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية من وجه ومع دلالته السمعية من وجه آخر، فالذي يستلذه السمع وتسيغه النفس، و تقبل عليه العاطفة، هو المتحقّق في العذوبة و الرقة، و الذي يشرئب له العنق و تتوجس منه النفس، هو المتحقق في الزجر و الشدة، فهنا ينبه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتب على مناخ الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تأثير نفسي معين سلباً و إيجاباً.(١)

فبيان القرآن المجيد تلمح فيه الفروق بين مجموعة هذه الأصوات في إيقاعها، و التي كونت كلمة معينة في النص، و بين تلك الأصوات التي كونت كلمة أخرى، و تتعرف فيه على ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية صارخة تختلف عن سواها قوة أو ضعفاً، رقةً أو خشونة، حتى تدرك بين هذا وذاك المعنى المحدد المراد به إثارة الفطرة أو إذكاء الحفيظة، أو مواكبة الطبيعة بدقة متناهية، ويستعان على هذا الفهم لا بموسيقى اللفظ منفرداً أو بتناغم الكلمة وحدها، بل بدلالة الجملة أو العبارة منضمّة إليه.(٢)

إن إيقاع اللفظ المفرد و تناغم الكلمة الواحدة، عبارة عن جرس موسيقى للصوت فيما يجلبه من وقع في الأذن أو أثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا كان ما أورد القرآن الكريم في هذا السياق متجاوباً مع معطيات الدلالة الصوتية التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها(٣)فتوحي بأثر موسيقي خاص

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق للنشر مصر ،القاهرة، ج٦، ص٤٩.

(٢)الفاصلة القرآنية، ص ٦.

(٣) المرجع نفسه،ص٨.

يُستنبط من ضم الحروف بعضها بعضاً، ويُستقرأ من خلال تشابك النص الأدبي في عبارته، فيُعطي مدلولاً متميزاً في مجالات عدة (الألم، البهجة، اليأس، الرجاء، الرغبة، الرهبة، الوعد، الوعيد، الإنذار، التوقع الترصد، التلبث... إلخ.[١]

و لا شك أن استقلالية أية كلمة بحروف معينة، يكسبها صوتياً ذائقة سمعية منفردة، تختلف دون شك عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه، مما يجعل كلمة ما دون كلمة وإن اتحدا بالمعنى، لها استقلاليتها الصوتية، إما في الصدى المؤثر وإما في البعد الصوتي الخاص وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى، و إما بإقبال العاطفة، و إما بزيادة التوقع، فهي حيناً تصك السمع و حيناً تهيئ النفس، و حيناً تضفي صيغة التأثر فزعاً من شيء، أو توجهاً لشيء، أو طمعاً في شيء، وهكذا.[٢]

هذا المناخ الحافل تضفيه الدلالة الصوتية للألفاظ، وهي تشكل في القرآن الوقع الخاص المتجلي بكلمات مختارة ، تكونت من حروف مختارة فشكلت أصواتاً مختارة، هذه السمات في القرآن بارزة الصيغ في مئات التراكيب الصوتية في مظاهر شتى و مجالات عديدة، تستوعبها جمهرة هائلة من ألفاظه في ظلال مكثفة في الجرس و النغم والصدى والإيقاع.[٣]

قال الخطابي: "إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة: "لفظ حاصل، و معنى به قائم، ورباط لهما ناظم، و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا أعذب من ألفاظه".[٤]

و هذا مما ينطبق على استيحاء الدلالة الصوتية في القرآن بجميع الأبعاد، يضاف

---

(١) بسام بركة، علم الاصوات العام، ص ١٢٨.

(٢) الفاصلة القرآنية، ص ٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ص٥١.

(٤) المرجع نفسه ص٥٦.

إليه الوقع السمعي للفظ، والتأثير النفسي للكلمة، و المدلول الانفعالي بالحدث، و تلك مظاهر متأنقة قد يتعذر حصرها، وقد يطول الوقوف عند استقصائها، و كان من فضيلة القرآن الصوتية أن استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة، و تمرس في استيفاء وجوه التعبير عنها بمختلف الصور الناطقة.

أبعاد الدلالة الصوتية للمقاطع في القرآن:-

لقد حفلت سورة النازعات بمستويات لغوية راقية جاءت لخدمة المعنى، إذ أن كل ماهو موجود في السورة من فواصل وتقابلات وتراكيب جاء لخدمة اظهار الحدث المركزي الوحيد وهو {فإذا هم بالساهرة} الدخول للمعاندين في النار، فتضافر الصوت والتركيب في عرض هذه الدلالة لتغدو قريبة للعين.(١)

١- المستوى الصوتي

يعد البناء الصوتي لأي لفظة جانبا مهما في انتاج الدلالة، أذ أن العمل الفني "هو نظام للأصوات، ثم انتقاء من النظام الصوتي للغة ما.(٢)

أ- الفواصل

تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين بها القرآن بقية الكلام، وسميت فواصلا لأنه ينفصل عندها الكلامان.(٣)

الفواصل الثنائية المقاطع:

وردت الفواصل الثنائية المقطع في قوله تعالى:﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا *وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا *وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا *فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا *فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾(٤) اذ تشكلت الفاصلة من مقطعين طويلين، الأول مغلق (غر) (نشـ) (سبـ) (سبـ) (امـ) والثاني مفتوح (قا) (طا) (قا)

(١) بسام بركة، علم الاصوات العام ص ١٢٨.

(٢) نظرية الادب، ص ٢٦٦.

(٣) الفاصلة القرآنية، ص٧.

(٤) سورة النازعات ١-٥

(را) وهذا التشكيل بقصره متناسب مع المعنى المراد من الآيات، إذ أُريد بهذا المقطع من السورة، نقل صورة حسية لحركة عدو الخيل،وما فيها من معاناة لتجميع قوتها في الانطلاق المهول السريع وهذا ما أكدته أصوات الفواصل من خلال خلقها جو الحركة السريعة في بذل أقصى الطاقات فالراء وهوصوت مجهوريقرع الأذن ويوقظ الأعصاب يكون له بذلك بعد الاثارة الجهورية[١]تكراري جيء به بعد الغين المجهورة المفخمة، ثم اتبعت بـ (القاف) الشديدة الانفجار المتبوعة بالألف التي منحتها طولاً وامتدادا لبلوغ الغاية القصوى للانطلاق تماماً، كما يمد اللجام للخيل دلالة على السرعة المتناهية لها[٢] فالانتقال بالأصوات بين الجهر والانفجار يتناسب مع هدف الصورة الحسية للتعبير عن قوة الجذب والمعاناة، وهذا ما اطلق عليه بـ (الدلالة الصوتية) أو (رمزية الالفاظ).[٣]

ولم يتوقف هذا الاحساس بالحركة السريعة المتناهية الغاية،بل نجده يتبع بأصوات الفواصل اللاحقة للفاصلة الأولى، إذ نجد هيمنة السين والشين على الفواصل التالية لها، ولا سيما المقطع الأول منها (نشـ) (سبـ) والسين والشين من الأصوات المهموسة، وفي اجتماعهما يؤديان معنى العظمة الكاملة والقوة القادرة على التحرك والانطلاق، فأصوات الفاصلة الثانية تنطق بسهولة على اللسان، فصوت النون بين الشدة والرخاوة والجهر يلتقي بالشين المهموسة الرخوة المرققة بيسر وسهولة انتقالا للطاء المهموسة ايضاً، وهذه الاصوات متناسبة في تصوير سهولة انطلاق هذه الخيل، دلالة على هيمنة الفارس عليها وقدرته الفائقة على تسييرها.[٤]

ولزيادة تصوير هذا المشهد الحسي في عدو الخيل السريع وابرازه في إطار تعجيزي يثير الدهشة والتعجب منه، جاء هذا العدو السريع على الماء وليس على الأرض اليابسة،إذ

---

(١) البنيات الاسلوبية في لغة الشعر، ص ٣٣.

(٢) ينظر التفسير البياني، ص ١١٠.

(٣) الجرس والايقاع في القرآن الكريم، ص٣٣٧، وينظر دلالة الالفاظ ص ٦٨-٧٠.

(٤)ينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني، ص ٩٠-٩٢.

قال تعالى: {والسابحات سبحا} فحركة الخيل في غير مسارها تتطلب قوة وعنفا أكثر مما تحتاجه فيما لو كانت على الأرض المستوية، وفي هذا مدعاة لابراز القوة التي تتطلبها، وهذا ما ناسبت به أصوات الفاصلة (سبحا) إذ نجد السين المهموسة بما فيها من صفير بالتقائها بالباء المجهورة الشديدة،فتوقع على اللسان نوعاً من التوقف الاجباري المتمثل باطباق الشفتين ثم انفراج الفم بانفجار الصوت حتى ينتقل إلى الصوت الاحتكاكي (الحاء) المهموس المرقق دلالة على التدرج في التخلص والتمكن من الانطلاق بعد ما عانت في تجميع قوة للانطلاق، لتنتهي وتستمر الأصوات الذلقية تداولاً على اللسان وهي تنطق هذه الصورة الحسية، فصوتا الراء والميم بخفتيهما وسلاستهما على اللسان يؤكدان سهولة القيام بحركتها وكأنها لاتحتاج إلى من يقودها، فتلك الأصوات صورة متحركة ملموسة لحركة الملائكة وما لها من قوة واقتدار وانصياع لامر خالقهافي تنفيذ أمره عز وجل مقربة لصورة حسية وهي حركة عدو الخيل، فأصوات الفاصلة جاءت مكملة لرسم الصورة الحسية الممهدة للدخول في الحدث المركزي وهو يوم القيامة.[1]

الفواصل الثلاثية المقاطع

كان لهذا النوع من الفاصلة النصيب الأكبر في سورة النازعات، فقد منحت السياق طاقته الايحائية، فجاءت مكملة للمعنى وهادفة إلى ايضاحه، بل جاء طالبا لها وملحا على وجودها وعنصر مكمل لها، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ *تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ *أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ *يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ *أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً *قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ *فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[2]

فقد تكونت كل واحدة من هذه الفواصل من ثلاثة مقاطع، تماثلت جميعها من حيث أنواع المقاطع كالآتي:-

---

١-محمد حسن حسن جبل، المختصر في اصوات اللغة، ص٦٤.

٢-النازعات ٦-١٣

را / جـ /فة

را / د / فة

وا /جـ / فة

خا /شـ /عة

حا / فـ / رة

نَ / خِ / رة

خا / سـ / رة

وا / حـ / دة

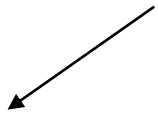

مقطع طويل مفتوح + مقطع قصير + مقطع قصير مغلق

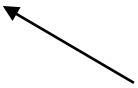

الفواصل الأربعة الأولى صور بها مشهد القيامة وارتجاف الارض وتزلزلها، فالفاصلة (را/جـ/فة) بأصواتها مصورة لهذا التزلزل، فالراء صوت مكرر فضلاً عن تذبذبه بين الشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والجهر،وكأن هذا هو الاهتزاز صعودا ونزولا، وهذا ما يصور الزلزلة فالراء يتكون عند اندفاع الهواء فتخرج سلسلة من الضربات المتكررة التي تحدث رنينا صوتيا[١] وتمنح الالف بانسيابيتها وامتدادها قوة في تكرار الراء، والملاحظ على هذه الفواصل هيمنة أصوات المد على المقطع الأول منها المدمج بأصوات غالبيتها مجهورة تمثلت بـ (راء، واو، نون) وحتى المهموس منها (الخاء) فهو صوت استعلاء، وهذا ما يشعر بسطوة الارتجاج المكتنز رهبة واندهاشا، وهذا المعنى يوحي به انتهاء المقطع الأول بصوت الألف.

(١) بسام بركة، علم الاصوات العام، ص ١٢٨.

المقطع الثاني يمثل نقطة ارتكاز وتكثيف للحدث؛ إذ يتمثل بصوت الجيم المجهور المتقلقل والدال الانفجاري الشديد المجهور الانسدادي،فالمقطع الثاني يمثل ذروة الحدث كما ترسمه الاصوات، وحلقة وصل للمقطع الثالث منها المنتهي بالهاء التي تشعرنا بانغماس الناس في هذه الرجفة واحتوائها لهم.[١]

الفاصلتين الثالثة والرابعة وردتا ملائمتين أشد الملاءمة لتصوير مشهد الاستسلام والخضوع (واجفة، خاشعة) فالمقطع الأول منهما (وا، خا) اضفى مسحة "الذل" يجتمع عليها الخوف والانكسار والرجفة والانهيار"[٢] وهذا ما أكده الصوت الطويل – الألف.

غلبت الأصوات المهموسة في تصوير الخشوع، بينما كانت الأصوات المجهورة صفة

الأصوات للفاصلة (واجفة) فالدلالة اللفظية تتواشج مع الدلالة الصوتية لتحقيق المعنى المراد.[٣]

وللتشكيل المقطعي لهذه الفواصل تأثيره في توضيح المعنى، إذ وردت الفاصلة السادسة بـ (مقطع قصير + مقطع قصير + مقطع قصير مغلق) على خلاف المقاطع الأخرى التي تبدأ بمقطع طويل مفتوح، فقد هيمن المقطع القصير على تشكيلها المقطعي، وفي هذا مناسبة دقيقة لمعنى الفاصلة (نخرة) وليس (ناخرة) وفي هذا دلالة أوضح على شدة تفتت العظمة وصغرها حتى يكاد يصعب تخيل اعادة ترميمها وتشكيلها من جديد، وفي هذا مناسبة أكثر للتعجب.

١-الفاصلة القرآنية، ص٧.

٢-سيد قطب، في ظلال القرآن، ص٢٥٠.

٣-الجرس والايقاع في القرآن الكريم، ص٣٥١

من الفواصل الثلاثية في السورة قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا *رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا *وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا *وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا *أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا *وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[1]

فالبناء المقطعي لكل واحدة من هذه الفواصل على النحو الآتي:-

بَ /نا / ها

فَسَ/ وا ها

ضُ / حا/ ها قصير مغلق + طويل مفتوح + طويل مفتوح

د / حا / ها

أر /سا/ ها

فالمقاطع الطويلة تسيطر على هذه الفواصل، التي تصور النعيم الدنيوي، وفضل الله سبحانه على الأنسان في خلق الكون مسخرا له في تناسق وتناغم، فالانسجام والتلاؤم قائمان في هذا السياق بين اصوات الفاصلة ودلالاتها اللفظية، فالمقطعان الثاني والثالث من كل فاصلة (طويل مفتوح) بالألف الممدودة مما يعطي انسيابية في متابعة المد حتى آخر فاصلة وكأنها تُظهر النعيم بطريقة متأنية مسترسلة، فهذه المدود المتتابعة فيها صور تناهي اتقان الصنع في الكون، فضلاً عن الانبهار به وعدم تفاوته.[2]

كما إن متابعة المدود وانسيابيتها تمنح السياق التعبيري جلالا وعظمة، وهذا ما نتلمسه في فواصل الآيات الآتية:-

---

١-النازعات٢٧- ٣٢

٢- الفاصلة القرآنية، ص ٨.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا *فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا *إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا *إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا *كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[١] إذ توحي هذه المدود العميقة برهبة الساعة وعظمتها ومن قيامها الذي غُيب وقته،فبقيت تثير الدهشة والخوف من ذكرها في النفوس. [٢]

وسورة النازعات رسالة تحذيرية ترهيبية ؛ لذا فالفواصل وردت فيها متناوبة بين الثنائية والثلاثية المقطع، متناسبة مع الرسالة الاجمالية للسورة فالموقف لايتطلب وقفات صوتية مديدة ومزيدة، بل هي تحذيرات حاسمة مدعمة بصور ذات وقع موسيقي سريع، تعمل كمنبه ذهني لعقلية وفكرية متمسكة بموقفها العقائدي.[٣]

ب- التكرار الصوتي

١- التكرار الصوتي المقيد: والمتمثل بفني التجنيس والتكرار على أساس أن اللفظة الثانية ما هي إلا تكرارصوتي لكل أو بعض اصوات الكلمة[٤]

ومما جاء من التجنيس الأشتقاقي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[٥]بتكرار (الراء والجيم والفاء) والتكرار الصوتي يخلق جوا نغميا يعمق المعنى ويساعد في ابرازه[٦]اذ بتكرار هذه الأصوات أبقت صورة ارتجاج الأرض عالقة في الذهن،بل إن هذا التكرار جسّم للأعيان الأرض وهي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من دون توقف.

١-سورة النازعات الآيات:٤٢- ٤٦

٢-ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي،دار نهضة مصر للطباعة،ج ١٥٧/٢.

٣-ص١٥٨، المرجع السابق.

٤-ص١٥٩،المرجع السابق.

٥-سورة النازعات،الآية: ٦.

٦-ينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني، ص ٩١- ٩٢.

ومن التجنيس الاشتقاقي بنية اسم الفاعل ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا *وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا *فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾[١] ومعنى(الناشطات نشطا) من النشط وهو السهولة واليسر في انطلاق الخيل، ولكن في تكرار اللفظة اضفى على المعنى دلالة الإفلات من العقال وفي هذا زيادة في تصوير سرعة الانطلاق، ونجد هذا أيضا في (السابحات سبحا) و(فالسابقات سبقا) إذ أن تكرار الأصوات الانفجارية الشديدة المتقلقلة فضلاً عن الرخوة الصفيرية التي تمنح اللفظ نبرات صوتية عالية، ومتدفقة تنسجم وحركة الخيل وهي تتسارع في سبقها، ففي سورة النازعات كثر ورود الأصوات بحيث لايمكن الركون الى مستوى صوتي واحد أو اثبات لأصوات محددة متكررة، سواء كانت مجتمعة أم متفرقة، وقد قسمها احد الباحثين الى نوعين:-

أ. الاصوات المهيمنة: وهي التي يكون تكرارها أكثر من غيرها.

ب. الاصوات المؤازرة: وهي التي يكون تكرارها أقل وضوحاً.[٢]

٢-الهيمنة العددية:

١- كانت الهيمنة الاساسية للمصوت الألف، ثم يتبعه الواو بثلاثين مرة، ثم الياء باحدى وعشرون مرة.

٢- تكرر اللام في السورة تسعا وعشرين مرة، أما النون فقد تكرر إحدى وثلاثين مرة.

٣- الراء تكرر احدى واربعين مرة.

٤- أما الاصوات المجهورة فكان تكرارها بنسبة أكبر من الأصوات المهموسة.

ج- الموازنات الصوتية:

وهو ما كان بين طرفين يتناظران كليا أو جزئيا في عناصر تكوينهما الصوتي[٣]وقد وردت موازنات صوتية بين مقاطع الفواصل،وبشكل واضح ولاسيما في المشهد الحسي

١- سورة النازعات الآيات :٢- ٤.

٢-المكونات الصوتية للايقاع وانماطه، ص ١٨١.

٣-الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، ص ١١.

التمهيدي، إذ ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا *فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[1] البناء المقطع للفواصل (--) وهذا التوحد في البناء التشكيلي يخلق ايقاعا موحداً للصورة، ومن ثم في رسم الحركة المشخصة في المشهد فكل مقطع لاينقص أو يزيد عن الآخر، فالحركة متساوقة لاتباين فيها.

والذي أكد سرعة هذا الايقاع المتواشج مع الحركة السريعة، النغمة الواحدة لفقرات المشهد الخمس، اذ تقل فيها المدود وكل فقرة منها تتألف من كلمتين:-[2]

أولاهما: تحتوي على بعض المدود الطويلة.

ثانيهما: وهي فاصلة الآية كلمة ثلاثية لامد إلا في آخرها، فهذه الفقرات الخمس ترسم ايقاعا يمثل عدو الخيل وانطلاقها في سرعة فالتة من عنانها.[3]

- من الموازنات الناتجة عن التكرار الصوتي في فواصل الآية قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا *وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[4]فمع اتفاق كلمتي (ضحاها) (دحاها) في بنائمها المقطعي (هـ --) فانهما قد تماثلتا في الأصوات (الحاء والالف والهاء والالف) اذ تخلق هذه الموازنة الصوتية ايقاعا طويلا وهادئا وقويا في الوقت ذاته، معلنا كبر النعم التي أولاها الله للأنسان، ومن ثم فهو نعيم لاتعرف مدة المتاع فيه.

وللايقاع دور بارز في رسم الصورة المجسمة فضلاً عن توازنها المقطعي فقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[5]

(يو /مَ /تر /جـ /فل /را / جـ / فة / تت / ب /عُ / هل / را /دِ /فه)

---

[1]- سورة النازعات والأية :٤-٥

٢-المكونات الصوتية للايقاع وانماطه ص ١٨١.

٣-ص١٨٣،المرجع السابق.

[4]- سورة النازعات الآية ٢٩-٣٠.

٥-سورة النازعات الآيات : ٦- ٧.

(- /ه /- /ه / - /-/ ه / - / - / ه / ه/ - / - / ه / -)

يتزوازن والمقطع الذي بعده ﴿قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة﴾[١]

(- / -/ ه/ -/ ه/ ه/ -/ -/ ه /-/ -/ -/ ه/ -/-/ ه/ -)

فالايقاع سريع وبموجات متدفقة ومتسارعة وترادادية وكأن ليس لها نهاية، فهي ايقاعات مستمرة تضرب على الأذن (راجفة/ رادفة/ واجفة/ خاشعة) فتشيع جوا مكهربا تتسارع له نبضات الافئدة فضلاً عن المدود الطويلة في الفاصلة، التي رسمت بايقاعها صورة الاندهاش التي تأخذ حاضر هذا المشهد.[٢]

ومن الموازنات الصوتية الأخرى، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى*وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾[٣] فالموازنة قائمة بين الفعلين (سعى) (يرى) إذ البناء المقطي لهما (ه) هذه الموازنة جاءت مكملة لرسم صورة الحدث بشكل متكامل، إذ بمجرد أن كل انسان سينال جزاء أعماله التي احصاها في الدنيا، وسيعلم مصيره النهائي بحسب عملهوستظهر حقيقة ما كان يختلف فيه ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ إذ قد يكون هذا الإبراز هو انكشاف للحقائق التي كان يمارى فيها الانسان ويختلف عليها، فضلاً عن سرعة حصول الامر بين التذكر للسعي وحصول الرؤية للجحيم.[٤]

وهناك موازنة حاصلة بين نوعين من التراكيب في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى *اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[٥]إذ وازن صوتيا بين طوى اسم مكان وطغى الفعل وبنائهماالمقطعي (ه -).[٦]

١- سورة النازعات الآيات (٨- ٩)

٢-المكونات الصوتية للايقاع وانماطه، ص ١٨٥.

٣-سورة النازعات الآيات:٣٥- ٣٦.

٤- المكونات الصوتية للايقاع وانماطه، ص ١٦٢.

٥-سورة النازعات الآيات: ١٦ – ١٧.

٦-أسلوب الدعوة القرآنية، ص ٣٢- ٣٣.

المبحث الثاني

أثر الدلالة الصوتية للتنغيم

النَّغم لغة: جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها.[١]

النّغم اصطلاحا: هو ارتفاع الصوت وانخفاضه اثناء الكلام.[٢]

يقصد بالتنغيم التنويع في أداء الكلام بحسب المقام المقُول فيه، فكما ان لكل مقام مقالا فكذلك لكل مقال طريقةٌ في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه، فالتهنئة غير الرثاء، والامر غير النهي سطوةٌ وردعاً غيرهما شفقةً، وهما غير التأنيث والتوبيخ، والتساؤل والاستفهام غير النفي وهكذا.[٣]

إن التأثير الصوتي من أهم المداخل الى النفس البشرية[٤]اذ يقول الذين كتبوا في علم النفس الموسيقي إن هناك ميلاً غريزياً لدى الإنسان الى الكلام ذي الجرس الموسيقي الجميل[٥] ومن ثم فان الكلام الانساني يحمل كثيرا من عناصر الانسجام الصوتي، حتى في غير النصوص الشعرية التي تتبع نظاما من التتابع المقطعي والايقاعي تتميز به عن الكلام المنثور.[٦]

فالكلام عند القائه تكسوه ألوان موسيقية لاتختلف عن الموسيقى الاّ في درجة التواؤم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تضع كلام متناغم الوحدات والجنبات.

وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية،أو نغمات

١-محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت: بلات ، دار صادر) ٥٩٠/١٢.

٢-تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ط٢ ، (بلام : ١٣٩٤ هـ- ١٩٧٤م ، دار الثقافة ، دار البيضاء)، ص ١٦٤ .

٣-محمد حسن حسن جبل، المختصر في اصوات اللغة العربية ، ط: ٤، القاهرة : ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م ، مكتبة الاداب،ص ١٧٧.

٤-محمود السعران، اللغة والمجتمع ، ط: ٢، دار المعارف- الاسكندرية : ١٩٦٣م، ص ١١٤.

٥-ابراهيم انيس ، موسيقى الشعر ، ط: ٤ ، (القاهرة : ١٩٧٢م ، مكتبة الانجلو المصرية) ص ١١.

٦-غانم قدوري الحمد، المدخل الى علم اصوات العربية، بغداد : ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م ، منشورات المجمع العلمي، ص ٢٥٦.

الكلام حيث لا يُلقى الكلام على وتيرة واحدة[١]يقولالدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "موسيقى الكلام" "أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها ومن اللغات مايجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى، اذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعا لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها، ويمكن أن نُسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية[٢]فالتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ (Intonation).

يقول دانيال جونز معرفاً التنغيم:

"إنه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية[٣] فالتنغيم مرتبط بالاهتزازات التي تحدثها الأوتار الصوتية، فكلما زادت عدد الاهتزازات وكانت ذات سرعة كان عدد التغيرات في التنغيمات أوضح، فهو عبارة عن جملة من العادات الادائية المناسبة للمواقف المختلفة، من تعجب، واستفهام، وسخرية، وتاكيد، وتحذير، وغير ذلك من المواقف الانفعالية[٤] لذا فان كل جملة أو كلمة ننطق بها لابد أن تشتمل على درجات مختلفة من درجة الصوت، وأشهر أنواع النغمات ثلاث هي:-[٥]

١- النغمة الصاعدة:

وتعني وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة اكثر علواً .

٢- النغمة الهابطة:

وتعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة اكثر انخفاضاً.

١- عبد الرحمن ايوب، اصوات اللغة، دار التاليف- القاهرة : ١٩٦٣م ص ١٥٣ – ١٥٤.

٢-إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة : ٢٠٠٧م، ص ١٦٣.

٣- ٢٧٥n Outline of English Phonetics, p.

٤- برتيل مالمبرج، علم الاصوات، تعريب ودراسة : د . عبد الصبور شاهين (بلام : ١٩٨٥م، مكتبة الشباب) ص ٢٠٩.

٥- عبد الرحمن ايوب، اصوات اللغة، ص١٥٥.

٣- النغمة المستوية:

وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة، وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة.

فاختلاف درجة الصوت في الكلمة وتباينها من مقطع الى مقطع اخر قاعدة عامة تخضع له جميع اللغات، إذ أنه من المستحيل أن نجد لغة تستعمل نغمة واحدة في الكلمة أو الجملة، إذ الكلام لا يُلقى على مستوى واحد بأي حال من الاحوال[١]فاختلاف التنغيم وتغير النغمة في الكلمة أو الجملة المنطوقة شيء طبيعي يُطلق عليه (التنغيم الطبيعي)[٢]وهذا يوجد في كل اللغات إذ به ينسجم الأداء الصوتي، ولابد من اتقانه لأنه إذا لم يستعمل أصبح نطقه متنافراً لا يتفق وطبيعة اللغة وقياسيتها عند أهلها، فعدم اتقانه يجعل المتحدث يبدو غريباً عند اهل اللغة.[٣]

جهود علماء العربية في دراسة التنغيم:

لعلماء العربية والتجويد وقفات ذكية تدل على عقليتهم الفذه،خاصة في المباحث الصوتية اذ وعوا التنغيم وأدركوه، وان لم يأتوا فيه بدراسة نظرية شاملة، ولكنهم كانوا يأتون به على وجهه الصحيح بالعادة والسليقة.

- سيبويه زعيم النحاة يشير الى التنغيم في باب الندبه وإن لم يصرح به، اذ يقول: "اعلم أن المندوب مدعوّ ولكنه متفجّع عليه، فإن شئت ألحقتَ في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها"[٤]فكأنه يشير الى أنهم كانوا يُلونِونها بموسيقى معينة ونمط من التنغيم خاص به.

١- محمد بشر، ص ٥٣٣.

٢-عليان محمد الحازمي، التنغيم في التراث العربي، المملكة العربية السعودية : بلات ، جامعة ام القرى/ كلية اللغة العربية، ص٦.

٣- ص ٧،المرجع السابق.

٤-سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ص ٢٢٠.

– ابن جني اختتم مقدمة كتابه (سر صناعة الاعراب) الذي كرسه لدراسة أصوات العربية بقوله: "وهذا علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم"[١]فالتعبير بمصطلح (النغم) فيه دلاله واضحة على ادراك الكلام المنطوق يصدر الذي مُنَغماً، وان هذا التنغيم جزء لا يتجزأ من خواص الكلام.[٢]

مستويات الإيقاع:

تصنف مستويات الإيقاع في العربية إلى ثلاثة مستويات هي:–

الأول: ويظهر فيه الإيقاع معتمداً على توزيع المقاطع اللغوية، وعندئذ يسمى الإيقاع الكمي

المستوى الثاني:

يعتمد الإيقاع فيه على (النبر) في الجمل، إذ تنظم المقاطع تبعاً لانتظام النبر[٣] فالإيقاع يعطي نوعاً من النظام للمقاطع المنبورة، ويمكن عده في اللغة العربية تبادلاً بين المقاطع المنبورة وغير المنبورة في داخل انتظامات إحصائية محددة[٤]ويخضع النبر في اللغة العربية لانتظامات وقواعد محددة تتمثل في:–[٥]

١– يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان هذا المقطع طويلاً مثل كلمة (مكتوب).

٢– يقع النبر على المقطع قبل الأخير من الكلمة إذا كان هذا المقطع متوسطاً مثل كلمة (الأعلى).

١–ابي الفتح عثمان بن جني،سر صناعة الاعراب، تحقيق: د . حسن هنداوي (دمشق: ١٩٨٥م ، دار القلم)ج:١، ص٩.

٢–نديم الوزة ، مدخل إلى الإيقاع الداخلي للشعر، ص ٢١.

٣–غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (بغداد : ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، مطبعة الخلود) ص ٥٦٩ .

٤– الرجع نفسه ،ص ٥٨٠.

٥–غانم قدوري الحمد، المدخل الى علم اصوات العربية، ص ٢٦٠.

٣- يقع النبر على المقطع ما قبل الأخير من الكلمة إذا كان المقطع قصيراً مثل كلمة (عَلامَ إلامَ).

- إذا كان المقطع الثاني من آخر الكلمة قصيراً فإن النبر يقع على ما قبله مثل (سيكتب) فوفقاً للمقطع الأخير من الكلمة يتحدد موقع المقطع المنبور فيها.[١]

المستوى الثالث:

يعتمدالإيقاع فيه على (التنغيم) أي أصوات الجمل من صعود وانحدار وما شابه ذلك، ويرى د. سيد البحراوي[٢] أنه: "حسبما تنتهي الجملة صوتياً ودلالياً يأخذ التنغيم شكله، فالجملة التقريرية (الإثبات، والنفي، والشرط، والدعاء) تنتهي بنغمة هابطة (/) كذلك الأمر بالنسبة للجملة الاستفهامية بغير الأداتين (هل والهمزة)

- أما الاستفهام بهاتين الأداتين فإن الجملة الاستفهامية تنتهي بنغمة صاعدة[٣] (\ ) لكن إذا وقف المتكلم قبل تمام المعنى وقف على نغمة مسطحة (-) لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة[٤] ويتمثل ذلك جلي من خلال الآيات القرآنية كما يلي:-

١ - النغمة الهابطة (/) Falling:

تتمثل النغمات الهابطة في الجمل التقريرية الإثبات ، والنفي ، والشرط ، والدعاء فالإثبات يمثله قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٥]فقد تم الوقوف على كلمة (القدر) وهو وقوف على نغمة هابطة في سياق جملة مثبتة.

١-غانم قدوري الحمد،ص٢٦١، المرجع السابق.

٢-السيوطي، الاشباه والنظائر، ص٢٤٥ ، احمد كشك/ من وظائف الصوت اللغوي، ص ٦١.

٣-ص٦٣ ،المرجع السابق.

٤-غانم قدوري الحمد، المدخل الى علم اصوات العربية، ص ٢٦٦.

٥- سورة: القدر الآية (١).

– النفي يمثله قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[١]فالوقف على كلمة (قلى) يمثل نغمة هابطة في سياق ختام جملة منفية.

– الشرط يمثله قوله تعالى:﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ﴾[٢] فالوقف على لفظ الجلالة (الله) يمثل نغمة هابطة في سياق جملة جواب الشرط.

– الدعاء يمثله قوله تعالى:﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً﴾ [٣]فالوقف هنا متعدد لأنه سياق دعاء، فقد تم الوقوف على (لي) و (لوالدي) و(مؤمناً) و(المؤمنات) و(تباراً) في تشكيلات بنائية لجملة دعاء متصلة السياق،فنجد من خلال هذا السياق نغمات هابطة في هذه الوقفات.[٤]

– الاستفهام بغير (هل والهمزة) يمثله قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾[٥]وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾[٦]فنلمح هنا النغمات الهابطة في (يتساءلون) و (مرساها) و (ذكراها) لأن الاستفهام هنا دلالي سياقي أكثر منه طلباً للإخبار.

٢ – النغمة الصاعدة (/) Rising:

وتتمثل تلك النغمات في السياق الاستفهامي من خلال الأداتين (هل والهمزة) كما يلي:–

الاستفهام بهل وهي متعددة المعاني والدلالات:[٧]

فتأتي لمعنى التقرير والإثبات كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾.[٨]

١-سورة: الضحى الآية (٣).

٢- سورة: البقرة الآية (١٨٤).

٣-سورة: نوح الآية (٢٨).

٤-احمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، ص ٦٧.

٥-سورة: النبأ الآية (١).

٦- سورة: النازعات الآية (٤٢).

٧-د. صبحي الصالح،مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين– بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م، ص ٣٣٤.

٨-سورة: الانسان الآية (١).

وبمعنى "ما " كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾.[١]

وبمعنى " قد" كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾[٢]

وبمعنى "ألا " كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾.[٣]

وبمعنى" الأمر" كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.[٤]

وبمعنى "السؤال" كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.[٥]

وبمعنى "التمني" كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[٦]

وبمعنى "أدعوك" كما في قوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾[٧]

فالوقوف على كلمات "مذكوراً" و" الغمام" و" موسى" و" أعمالاً" و" منتهون" و" مَزِيد" و"حِجْر" و" تَزَكَّى" يتم في سياق نغمات صاعدة قوية تترصد الإجابة التي تستقر عندها هذه الأسئلة لتشكل هذه الإجابات نغمات هابطة قارة في هذا السياق، وتَرَصُّد الإجابات مرحلة تدوم فترة من الوقت ليظل المعنى القرآني مفتوحاً أمام متلقيه ليسهم بدوره في رصدها بتأمل هذه السياقات.[٨]

أما الاستفهام بالهمزة فله دلالات أخر تتنوع في مراميها وأهدافها ، فتأتي:-

---

١-سورة: البقرة الآية (٢١٠).

٢-سورة: النازعات الآية (١٥).

٣-سورة: الكهف الآية (١٠٣).

٤-سورة: المائدة الآية (٩١).

٥-سورة: ق الآية (٣٠).

٦-سورة: الفجر الآية (٥).

٧-سورة: النازعات الآية (١٨).

٨-د. صبحي الصالح،مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين- بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م، ص ٣٣٩.

بمعنى "الاستفهام" كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً﴾. [١]

وبمعنى "الإثبات" كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.[٢]

وبمعنى "الإنكار" التوبيخي كقوله تعالى: ﴿أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.[٣]

وبمعنى" التقرير" كقوله تعالى: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.[٤]

وبمعنى "التهكم" كقوله تعالى: ﴿أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.[٥]

وبمعنى" الأمر" كقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾.[٦]

وبمعنى" التعجب" كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.[٧]

وبمعنى "الاستبطاء" كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.[٨]

فالوقوف على نهايات الأسئلة بما تحمله من شحنات دلالية وسياقية يظل متصاعداً في سياق نغمي، لأن الإجابات على هذه السياقات الاستفهامية لم يتم رصدها، وإن تم هذا الرصد في سياق لاحق على هذه الأسئلة، ومن ثم يظل المعنى مفتوحاً وقابلاً لممارسة فعل التلقي في إطار هذا السياق.[٩]

١-سورة:الزمر الآية (٩).

٢- سورة: الشرح الآية (١).

٣- سورة: الصافات الاية (٨٦).

٤- سورة:الانبياءالآية (٦٢).

٥- سورة: هودالآية (٨٧).

٦- سورة: آل عمران الآية(٢٠).

٧- سورة: الفرقان الآية (٤٥).

٨-سورة: الحديد الآية (١٦).

٩- إبراهيم جنداري، الإيقاع في القصة القرآنية، مجلة الموقف الأدبي- دمشق ، تشرين الثاني ٢٠٠٢م، العدد١٨٦، ص١٧٣.

٣ – النغمة المسطحة(ـ)

هي تلك النغمة التي تقع (بين بين) أي بين النغمة الهابطة والنغمة الصاعدة لكون المعنى لم يتم عندها، لأن هذه النغمة لا تملك مقومات الأداء التصاعدي الموجود في سياق الاستفهام بهل والهمزة، كما أنها لا تملك الحس التقريري الذي تسمح به بنية الجمل التقريرية (الإثبات والنفي والشرط والدعاء) فتنتمي إلى سياق النغمة الهابطة، لكنها تتأرجح بين السياقين إلى أن يتم تغليب أحدهما وإنهاء هذا التأرجح السياقي.[١]

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[٢] فالوقوف على فاصلة جواب الشرط من الآيات السابقة (أخبارها) هو وقوف على نغمات مسطحة لم يتم المعنى عندها ولم يستقر بالجواب ويتمثل ذلك في الوقوف على كلمتي (زلزالها) و(أثقالها) أما الوقوف على كلمة (لها) فهو وقوف على نغمة هابطة في سياق استفهامي بغير (هل والهمزة) وهو استفهام بالأداة (ما).[٣]

فالتنغيم بهذا الدور الصوتي يؤدي وظيفة عظيمة تتمثل في انسجام الأصوات، حيث تكتمل فيه النغمات وتتآزر مؤدية المعاني والمقاصد، والتنغيم بهذا المفهوم ما هو إلا تغييرات موسيقية تتناوب الصوت من صعود وهبوط أو من انخفاض إلى ارتفاع، كما يحصل في كلامنا وأحاديثنا لغاية وهدف، وذلك حسب المشاعر والأحاسيس التي تنتابنا من رضى وغضب ويأس وأمل، وتأثر ولا مبالاة، وإعجاب واستفهام، وشك ويقين، ونفي وإثبات، فنستعين بهذا التغير النغمي الذي يقوم بدور كبير في التفريق بين الجمل، فنغمة الاستفهام

١- إبراهيم جنداري، ص١٧٥،المصدر السابق.

٢-سورة: الزلزلة الآية (١-٣).

٣-غانم قدوري الحمد، المدخل الى علم اصوات العربية، ص ٢٦٨.

تختلف عن نغمة الإخبار، ونغمة النفي تختلف عن نغمة الإثبات[١] والكلام بهذا الشكل له صلة وثقى بحالة المتكلم وسيكولوجيته، والتنغيم بهذا الشكل يلعب دوراً رائعاً في تغيير دلالات الجمل من تركيب إلى آخر، ومن باب إلى باب مثلما نجد أنفسنا في زخم دلالي وسياقي عند قراءة قوله تعالى: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾[٢]فالنغم الموسيقي في هذه الآية له دلالة كبرى في الكلام،فالتنغيم في الجزء الثاني من الآية يُعَدُّ محوراً رئيساً في تحديد التركيب، فيمكن قراءتها كما يلي:-[٣]

جملة (قالوا جزاؤه) بنغمة الاستفهام، أي : ما جزاؤه؟

وجملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) على التقرير جملة واحدة.

وتُقرأ على التعجب والاستهجان (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه).

وتُقرأ على التبرم والانزعاج (من وجد في رحله فهو جزاؤه).

وهكذا في تقليبات تنغيمية في سياق الآية دون المساس بالأصل الدلالي، بل يتم التنويع في إطار هذا الأصل الدلالي دون العدول عنه، وعلى هذا فإن المستويات الثلاثة المشكلة لجوهر الإيقاع من مقاطع ونبر وتنغيم هي في جوهرها منظومة متكاملة للمعنى الإيقاعي في سياق النص القرآني، كما أنها تسهم في إضفاء لمسة نظمية على سياق الإيقاع من ناحية، وتشييد بعد جمالي في إطار هذا النظم من ناحية أخرى، وما ذاك إلا تنويع على الوتر الصوتي الذي يمثله هذا المفهوم.[٤]

١-عبد الله بن احمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التاويل، بيروت : بلات ، دار الكتاب العربي، ص ٧٩.

٢-سورة: يوسف الآية (٧٤).

٣-عبد الله بن احمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التاويل، بيروت : بلات ، دار الكتاب العربي، ص٨٠.

٤- إبراهيم جنداري، الإيقاع في القصة القرآنية، ص١٨١.

الإيقاع القرآني:

إن الإيقاع يحدث بالإفادة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات لإحداث التوافق الصوتي بين مجموعة من الحركات والسكنات لتأدية وظيفة سمعية والتأثير في المستمع، ويأتي الإيقاع من اختيار الكلمات من حيث كونها تعبر عن قيمة التأثير الذي تحدثه وظيفة الكلمة في مدلولها الإيقاعي، فهو إحداث استجابة ذوقية تمتع الحواس وتثير الانفعالات[١]كما أن عدد الكلمات التي تكون الإيقاع بتركيباتها تعتمد تماماً على عدد الكلمات اللازمة لتوصيل المعنى في النثر، والقرآن الكريم يمتاز في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد فيه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام بأسلوب إيقاعي فني [٢]فالعربية لغة موسيقية، والقرآن الكريم يسير على سنن العربية وأساليبها في التعبير فتميز أسلوبه بالإيقاع المعجز والجرس اللافت للنظر.

والإيقاع في القرآن الكريم صورة للتناسق الفني ومظهر من مظاهر تصوير معانيه، وآية من آيات الإعجاز الذي يتجلى في أسلوبه المتميز، ويحوي القرآن الكريم إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع ليؤدي وظائف جمالية متعددة، إذ أن الأثر الممتع للإيقاع ثلاثي (عقلي، وجمالي ونفسي)

١. أما العقلي: فلتأكيده المستمر أن هناك نظاماً ودقة وهدفاً في العمل.

٢. أما الجمالي: فلأنه يخلق جواً من حالة التأمل الخيالي الذي يضفي نوعاً من الوجود الممتلئ في حالة شبه واعية على الموضوع كله.

١-د . محمد الحسناوي،الفاصلة في القرآن، ص ١٠٠.

٢- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص ١٠٣.

٣. أما النفسي فإن حياتنا إيقاعية (المشي والنوم والشهيق والزفير وانقباض القلب وانبساطه).[١]

لقد جمع النسق القرآني بين مزايا الشعر والنثر ، فهو قد تجاوز قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وتضمن في الوقت ذاته من خصائص الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل والتقفية التي تغني عن القوافي، فالموسيقى القرآنية إشعاع للنظم الخاص في كل موضع وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما أنها تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة ، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة.[٢]

فالعطاء الموسيقي في القرآن الكريم يأتي من اللغة؛ إذ أن الموسيقى فيه لا تنبع من وزن شعري كالذي نعرفه في تفعيلات الشعر العربي، ولكنها تنبع من اللغة نفسها وهي ائتلاف الأصوات في اللفظة الواحدة، وفي سياق الألفاظ وتناسقها وتناغمها وأدائها للمعنى ودلالتها عليه [٣]ولا شك أن الانتظام في الإيقاع النثري قابل للتحقق دون موازين الخليل، وأكبر دليل على ذلك النص القرآني.

إن منابع الإيقاع القرآني الظاهرة في العمل يمكن ردها إلى ما يأتي:-[٤]

١- الموسيقى النابعة من تآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة، كما لا يخفى أن الأصوات متفاوتة في الجرس يقرع بعضها بعضاً حين تجتمع في اللفظ ، فينتج عن تقارعها المتناغم لغة موسيقية جميلة.

١-سيد قطب، ص١٠٥،المرجع السابق،

٢-الرافعي،إعجاز القرآن، ص ١٦٨ – ١٦٩.

٣-ص١٦٩،المرجع السابق،

٤-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص١٠٧.

٢- الموسيقى النابعة من تآلف الكلمات حين تنتظم في الترتيب فقرات وجمل، فالألفاظ المفردة تقرع الألفاظ المفردة المجاورة لها سابقاً ولاحقاً، وينجم عن تقارعها المتناسق لغة موسيقية جميلة [١]وليست غاية الألفاظ للوصف والتصوير فحسب بل النغم أيضاً والذي يأتي من طبيعة الحروف، وهذا النغم ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة للإيحاء، وللألفاظ قيمة ذاتية إذ تقدم المتعة الحسية التي يجدها المتلقي مستمعاً أو قارئاً، فتنشأ من تتابع أجراس حروفها ومن توالي الأصوات التي تتآلف منها في النطق، وفي الوقوع على الأسماع، كما أن التلاؤم يكون في الكلمة بائتلاف الحروف والأصوات وحلاوة الجرس، ويكون في الكلام بتناسق النظم وتناسب الفقرات وحسن الإيقاع.[٢]

إن للقرآن الكريم نظام صوتي وجمال لغوي ينتظم باتساقه وائتلافه في الحركات والسكنات والمدات والغنات اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً، فهذا الجمال الصوتي هو أول شيء أحسته الأذن العربية، أما الجمال اللغوي فيتميز برصف الحروف وترتيب الكلمات، كما أن للقرآن الكريمتعاملاً خاصاً مع الحرف والكلمة، فهو له تعابيره الفريدة وقدراته التعبيرية لتقديم الصورة الفنية وتعميق الملامح، وعرض التجربة كما لو كانت حية معاشة تتخلق أمامنا، فهو قد بُنِيَ على تقطيع الأصوات وجرس الحروف وإيقاع الكلمات، فما من قدرة تعبيرية

للحرف والكلمة إلا فجرها كتاب الله عز وجل وبنى عليها معماره المتناسق الجميل.[٣]

إعجاز النغم القرآني:

عند قراءة القرآن قراءة سليمة يُدرك أنه يمتاز بأسلوب إيقاعي ينبعث منه نغم ساحر يبهر الألباب ويسترق الأسماع، ويستولي على الأحاسيس و المشاعر، وأن هذا النغم يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار والفواصل السريعة ، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة

١-سيد قطب، ص١١١،المرجع السابق.

٢-المرجع نفسه ، ص١٧٠.

٣-د . محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص ١٠٢.

عامة ويتوارى قليلاً أو كثيراً في السور الطوال ، ولكنه يظل دوماً ملاحظ في بناء النظم القرآني، فإنما نرد سحر هذا النغم إلى نسق القرآن الذي يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً، يقول سيد قطب:[١] "النسق القرآني قد جمع بين مزايا الشعر والنثر جميعاً، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة و أخذ في الوقت ذاته من خصائص الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي، وضم ذلك إلى الخصائص التي ذُكرتفجمع النثر والنظم جميعاً"[٢]كما أن هذا النغم القرآني ليبدو في قمة السحر والتأثير في مقام الدعاء، إذ الدعاء بطبيعته ضرب من النشيد الصاعد إلى الله ، فلا يحلو وقعه في نفس المبتهل إلا إذا كانت ألفاظه جميلة منتقاة وجمله متناسقة

متعانقة، و فواصله متساوية ذات إيقاع موسيقي متزن.[٣]

حقيقة الإيقاع القرآني:

يرى كثير من الباحثين أن الإيقاع القرآني يصعب شرحه لما يمتاز به من عمق وسحر لا يعرف مصدره تحديداً، يقول سيد قطب: "على أن هناك نوعاً من الموسيقى الداخلية يُلحظ ولا يُشرح، وهو كامن في نسيج اللفظة المفردة وتركيب الجملة الواحدة، وهو يدرك بحاسة خفية وهبة لدنية" مثلما نلمح في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[٤]

كلمات في غاية الرقة مثل (يبساً) و(لا تخاف دركاً) فالكلمات تذوب في يد خالقها وتصطف وتتراص في معمار ورصف موسيقي فريد، هو نسيج وحده بين كل ما كتب

١-عبد الله بن احمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التاويل، ص٨٠.

٢- ص٨٢،المرجع السابق.

٣-إبراهيم جنداري، الإيقاع في القصة القرآنية، ص١٨٣.

٤-سورة: طه الآية (٧٧).

بالعربية سابقاً ولا حقاً، لا شبيه بينه وبين الشعر الجاهلي ولا بينه وبين الشعر والنثر المتأخر، ويرى مصطفى صادق الرافعي أن هذا الإيقاع القرآني الفريد هو مناط الإعجاز والتحدي لقريش لما قرأه عليهم رسول الله ﷺ في بدء الدعوة، يقول الرافعي: "لما قرئ عليهم [يعني قريشاً] القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحاناً لغوية رائعة كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى وأنه أمر لا قبل لهم به، وكأن ذلك أبين في عجزهم حتى إن من عارضه منهم كمسيلمة جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظماً موسيقياً أو باباً منه، وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني، كأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية إنما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها[١]وقد حاول سيد قطب توضيح حقيقة الإيقاع في القرآن فقال: "إن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان، فالإيقاع الموسيقي في القرآن الكريم ينبعث من تآلف الحروف في الكلمات ، وتناسق الكلمات في الجمل، ومرده إلى الحس الداخلي والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع ولو اتحدت الفواصل والأوزان".[٢]

ويجب أن نلاحظ أن الإيقاع القرآني لا يعمل بصورة منفردة وبمعزل عن السياقات المتنوعة في النص القرآني، وذلك لأن النص القرآني منظومة متكاملة الأطراف يفضي بعضها إلى بعض في سياق تنظيمي فريد . فالإيقاع القرآني يتبع في نطاق عمله الموضوع الذي تتكلم عنه الآيات القرآنية.[٣]

ويرى سيد قطب أن الإيقاع القرآني يتنوع تبعاً للموضوع الذي تتحدث عنه الآيات القرآنية فمثلاً " التكوين الموسيقي في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى

١-إبراهيم جنداري، الإيقاع في القصة القرآنية، ص١٨٦.

٢- محمد حسن حسن جبل، المختصر في اصوات اللغة، ص٧٧.

٣-ص٧٨،المرجع السابق.

نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)[1] يذهب طولاً وعرضاً في عمق وارتفاع، ليشترك في رسم الهول العريض العميق والمدات المتوالية المتنوعة في التكوين اللفظي للآية تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق.[2]

وإذا كانت العبارة القرآنية لا تقع على آذاننا اليوم موقع السحر والعجب والذهول، فالسبب هو التعود والألفة والمعايشة منذ الطفولة، والبلادة والإغراق في عامية مبتذلة أبعدتنا عن أصول لغتنا، ثم أسلوب الأداء الرتيب الممل الذي نسمعه من مرتلين محترفين يكررون السور من أولها إلى آخرها بنبرة واحدة لا يختلف فيها موقف الحزن، من موقف الفرح من موقف الوعيد،من موقف البشرى من موقف العبرة، نبرة واحدة رتيبة تموت فيها المعاني وتتسطح العبارات.

التشكل الإيقاعي في القرآن:

تنبع من النظم القرآني خصائص نغمية وإيقاعية تتشكل وفقاً للتوجه السياقي في كل جملة من آياته، ويتم هذا التشكل من خلال وضع الحرف أو الكلمة أو الجملة على هذا النحو من الأنحاء وذلك قصداً إلى ملامح فنية تأتي في مقدمتها الموسيقى، وبذلك يضحي التعبير أبرع والتأثير أروع، إن دور الإيقاع في القرآن لا تنبع أهميته من أنه أحد عناصر الأسلوب الفني أو وسيلته البارزة وسيلة التصوير والتعبير والتأثير فحسب، بل لأن له هدفاً دينياً أولاً ولأننا نستطيع أن نجعله أساساً أو معياراً أو مفتاحاً لأحد علوم القرآن الكريم.[3]

١–غانم قدوري الحمد، المدخل الى علم اصوات العربية، ص ٢٦٨.

٢– ص٢٦٩،المرجع السابق،.

٣–إبراهيم جنداري، الإيقاع في القصة القرآنية، ص١٨٩.

هدف الايقاع القرآني:

الايقاع ذو هدف ديني من جانبين:

١- جانب الحافظ لأنه يساعده على حفظ القرآن وتذكره وتلاوته.[١]

٢- جانب المستمع إذ يجعله ينفعل له ويتأثر به، ونلمح أن إدراك الطفل لنغم الكلام وجرسه يسبق إدراكه لمعناه وأخيلته، كما أن الإنسان لديه ميلاً غريزياً أو استعداداً فكرياً لالتقاط وتذكر جملة من المقاطع الصوتية المنغمة والمترددة أكثر بكثير من استعداده لالتقاط بعض المقاطع العادية غير الموسقة من الكلام، وكل من شاهد حفظة القرآن من الأطفال يعرف أنهم يجدون سهولة واضحة في حفظه وتذكره أكثر مما يجدون في حفظ غيره من النصوص وتذكرها، لأن الإيقاع يساعدهم على هذا.[٣]

مصادر الإيقاع القرآني:

ما مصدر الإيقاع في القرآن؟ وإلامَ يرجع؟ أوَ يرجع إلى الآيات بما فيها من قيم موسيقية؟ أم يرجع إلى التنغيم بما فيه من قيم إنشائية، أم يرجع إلى مصدر غيبي بما له من سحر خفي نحس أثره في النفس ولا نعرف منبعه؟ وبكلمات أخرى هل يعود الإيقاع في القرآن إلى النص، أم إلى المقرئ (التالي) أم إلى المتلقي (السامع)؟[٣]

١-المرجع نفسه، ص١٦٠.

٢-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص١١٣.

٣- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص ١٠٢.

أولاً : النص

هنالك ثلاثة أنواع من الإيقاعات النثرية:-

الأول: إيقاع النثر العادي أو العام الذي يفلت من عنصري الانتظام والتوقيت.[١]

الثاني: إيقاع النثر الفني الذي يعتمد بالصنعة عليهما.

الثالث: إيقاع القرآن الذي يباينهما لينشئ تدرجات صوتية مختلفة، وكيفيات نغمية تتراوح بين الانتظام والتناسب، وبين التوازن والتقابل تبعاً للفكرة أو للموضوع، وللموقف أو للمعنى الذي يريد أن يعبر عنه أو يوصله، وفي كل سورة أو نص قرآني ينبع الإيقاع من اندماج عنصرين هما:-

١ - نغمة خاصة تناسب الفكرة، وتقوم الفاصلة فيها بدور المفتاح.

٢- لحن ينتظم النغمات جميعاً على اختلافها في شكل منسجم يخلف في روح المتلقي شعوراً ما.

فبالنغمات يوقع القرآن إيقاعات شتى على أوتار النفس، وباللحن المتساوق يترك وحده الأثر والعلاقة بين النغمات التي تصنع اللحن علاقة ذات أساليب شتى، فقد تقوم على الشوق أو الترقب أو على الترجيع أو على سواها، حتى يثير القرآن في أنفسنا ألواناً من الانفعالات تنصهر أخيراً في بوتقة الإحساس النهائي حين تتجه إلى غايتها المنشودة، ولعل التطبيق الإيقاعي على أحد السور القرآنية يكون مفتاحاً لتبيان هذا التقرير التفصيلي لأنواع الإيقاع.[٢١]

١-عبد الرحمن ايوب، اصوات اللغة، ص١٥٥.
[٢]-ص١٥٧ ،المرجع السابق،

ثانياً: المقرئ (التالي) التنغيم.

تُميز تلاوة القرآن من تنغيمه، فالتلاوة بطرائقها الثلاث (الترتيل والتدوير والحدر) علم شرعي يتناول الحروف في مخارجها وصفاتها، وهو علم قديم له أصوله وقواعده التي ثبتت عبر العصور فلم تتغير[١] ولعل القرآن من هذه الجهة هو الحافظ الوحيد الذي حفظ العربية وطريقة نطق حروفها، ومن يستمع إلى المصحف المرتل يستطيع أن يتمثل أحكام النطق ومواقع النبرات في لغتنا العربية، أما التنغيم أو التغني فأمر آخر مختلف، إنه فن المقرئ الخاص وكيفية أدائه للقرآن، مظهر من مظاهر الإبداع أو محاولة من المرتل لإظهار براعته علاوة على تعميق أثر النص الذي يقرؤه في نفوس سامعيه، وبهذه الدلالة للتغني يكون أقرب إلى الموسيقى منه إلى التلاوة،فهو والغناء صنوان يلتقيان في الأصل الإيقاعي وفي الجذر اللغوي ثم يفترقان أو يتخالفان.[٢]

ثالثاً: المتلقي

لا شك أن في القرآن نوعاً من الموسيقى الخفية تُلفظ ولا تُشرح [٣]لكن كيف ندرك هذه الموسيقى وهذا الإيقاع ؟ وكيف نتلقى القرآن؟ فالدراسات النفسية والجمالية لعملية التلقي تثبت أن تركيب الأثر الفني لا يكون تاماً ولا كاملاً إلا إذا التقت في رحابه وتداخلت طاقتان، الطاقة الكامنة في النص والطاقة المنبثقة عن التلقي، فالتقاء عالَم النص وعالَم المتلقي أمر ضروري لحياة النص فللنص حياة تعج بالحركة والامتداد بما يحمله من كلمات تعبيرية وصور فنية وقيم موسيقية وتركيبات بلاغية، أما عالم المتلقي فله حياة وخبرات جمالية وثقافية تتصف هي الأخرى بالحركة والتقابل والامتداد، ومن خلال عملية الإدراك تتصالح الحياتان وتلتقي الطاقتان، الطاقة الكامنة في النص، والطاقة المنبثقة عن القارئ، ولن يكون التلقي كاملاً ولن يدرك القرآن إدراكاً كاملاً، إلا إذا تداخل العالمان وتناغما.[٤]

١- إبراهيم جنداري، الإيقاع في القصة القرآنية، ص١٩٠، المرجع السابق.

٢- عبد الرحمن ايوب، اصوات اللغة، ص١٥٩، المرجع السابق.

٣-بسام بركة، علم الاصوات العام، ص ١٣٠.

٤-بسام بركة، ص١٣٢،المرجع السابق.

فالقرآن يملك قيمه الروحية والفنية الخاصة به، وهذه القيم لا تحضر إليه أو تفرض عليه [1]والمتلقي الذي يكابد قراءته وتدبره ويعيش عالمه ويحلله لا يجلب معه قيماً يتخيلها، أو لا يفترض في النص الذي بين يديه قيماً غير موجودة، إنه يكشف القيم الكامنة فيه وفي حالة القرآن تبدو العلاقة بين النص وقارئه أقوى لأن الأمر يتعلق بالإيمان، بتلك الحالة النفسية التي اشترط بعضهم وجودها لإدراك ما في الكتاب من جمال ومن أداء ومن إعجاز، فحين يعايش المتلقي عالم الإيقاع القرآني يجد نفسه في واحد من أربعة مواقف:-[2]

١- أن يشعر بالإيقاع وجوداً ونوعاً ويعلله.

٢- ألا يلاحظ شيئاً اسمه إيقاع.

٣- أن يرى تناقضاً بين المعلومات التي يعرفها عن الإيقاع وهذا الذي يجده في النص.

٤- أن يحس الإيقاع ولكنه لا يستطيع أن يشرحه ويعلله أو يحدد مصدره.

فالموقف الأول منطقي ومتماسك.

الثاني يشير إلى أن إحدى الطاقتين الكامنة أو المنبثقة معطلة.

الثالث يدعونا إلى أن نجعل من معلوماتنا أداة موظفة لخدمة الإحساس، وإلا حكمنا بفسادها ولو جزئياً إذا ناقضته.

أما الرابع فقد أغنانا عن التعليق عليه الخطابي، حيث ذهب في رسالته عن إعجاز القرآن إلى أن السبب قد يخفى وأثره في النفس واضح ، وهذا لا يقنع في باب العلم.[3]

١- د. صبحي الصالح،مباحث في علوم القرآن، ص ٣٣٩.

٢-ص٣٤٢،المرجع السابق.

٣-د . محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص ١١٦.

إن مجرد المحاولة لتلمس الظواهر الإيقاعية في التعبير القرآني مهما خفيت تظل ضرورية بغض النظر عن نتائجها، وتظل موسيقى القرآن هي موسيقى النفس ويظل الإيقاع هو المعبر عن حالات تلك النفس ويرتبط بحركة شعورها[١]لأنه في حقيقة الأمر هو صوت النفس البشرية وصوت حالاتها المتباينة، فرحها وحزنها، أملها ويأسها، غضبها وسعادتها، فقد صور حركة إحساسها، وكان صدى مشاعرها وانفعالاتها، وبلغ في ذلك الغاية وأربى على الغاية تعبيراً وتأثيراً.[٢]

١- عبد الرحمن ايوب، اصوات اللغة، ص١٦٤

٢-د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٣٦٢.

المبحث الثالث:

تطبيقات عن أثر الدلالة الصوتية

التطبيق على أثر الدلالة الصوتية للتنغيم في سورة النازعات:

سورة النازعات مكية.

عدد آياتها (٤٦) آية.

تُقَسَّم إلى ستة محاور تبعاً للسياق القصصي فيها:

الأول- يقول تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً*وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً *﴾[١]

جاءت مسرعة تركض ركضاً وتنزع نزعاً، وتستحيل في ارتفاع درجتها وحدة جيشانها إلى خمسة تركيبات متساوية كأنها موزونة وزن الشعر (مستفعلن فعولن) وهذا المطلع السريع يتفق مع ظل المعنى الغامض وإيماءاته المتعددة، وما يثيره في النفس من هزة ورهبة وتوجس، إن الأنفاس تكاد تتقطع ذعراً وارتجافاً وانبهاراً مرة بالموسيقى الخاطفة القارعة ومرة بفيء المعنى الغامض.[٢]

الثاني- يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ* يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾[٣]

يجئ طابعها من طابع المطلع وإيقاعها من إيقاعه، كأنما المطلع لهذا المشهد إطار الموسيقى ما زالت واجفة، هزاتها في الحس قوية وتوجساتها في الشعور تهول وتروع.[٤]

١- سورة النازعات الآية(١-٥)

٢-صلاح عبد الفتاح الخالد، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب، ص٩٢.

٣- سورة النازعات الآية (٦-١٤)

٤--ص٩٣،المرجع السابق.

الثالث– يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى* فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾(١)

فيها تتغير النغمة أو الإيقاع، فجو الحكاية وعرض الماضي واستحضار الذكريات لا تناسبه نغمات قارعة ولا واجفة، معها يهدأ الإيقاع وينساب فتمتد العبارة وتطول الجملة ويتحول الخيال السمعي إلى خيال تأملي استرجاعي، ومما يوافق هذا الخيال نغمات لا تعنف ولا تشتد بل تبطئ وتسترخي.(٢)

الرابع– يقول تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا *مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾(٣)

فيها ترتفع نبرة النغمة في حين تنتقل من ساحة التاريخ والذكرى إلى كتاب الكون المفتوح ومشاهده الهائلةوهنا يبدو التعبير قوي الأسر قوي الإيقاع، ولكنه لا يصل إلى درجة المطلع أو المشهد الأول في حدته وإيقاعه اللاهث.(٤)

الخامس– يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى* وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى* فَأَمَّا مَن طَغَى*وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى*وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(٥)

تجيء في سياق مشهد الطامة الكبرى، فتعود النغمة حادة كما كانت في المطلع، تتسق معه قوة وعنفاً وبروزاً.

١- سورة النازعات الآية (١٥- ٢٦)

٢- د. صبحي الصالح،مباحث في علوم القرآن، ص ٣٤٢.

٣- سورة النازعات الآية (٢٧- ٣٣)

٤- د. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ص١٧٣.

٥- سورة النازعات الآية (٣٤-٤١)

السادس– يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا* كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[١]

في اللحظة التي يغمر فيها الوجدان ذلك الشعور المنبعث من التوقيعات المختلفة واللمسات الموحية، يرتد السياق في الجملة الأخيرة إلى المكذبين بيوم الساعة بإيقاع حازم هائل وسريع يزيد من روعة الساعة وهولها وضخامتها في الحس وفي النفس، وتشارك الهاء الممدودة في تجسيم الهول وتشخيص الضخامة، ولقد كانت الفاصلة (القافية) في النغمات جميعاً تقوم بدور المفتاح فتلون النغمة وتمنحها درجتها[٢]وتعددت الفواصل بتعدد النغمات حتى بدت كأنها النهايات الطبيعية التي كانت تصل إليها كل موجة متدفقة من موجات التعبير الزاخر بالحركة والجيشان.[٣]

المعنى الجامع:

موضوع السورة يوم البعث، وهذا الموضوع أكثر هيمنة في الآيات المكية عنها في المدنية، فهذا اليوم ينكره الكافرون ويهزأون به . فكيف يثيره القرآن في نفوسهم؟.[٤]

– لا بد أن يلفت نظرهم أولاً إلى واقع مادي مماثل يشاهدونه كل يوم، وليس لدى العربي أجمل من منظر الخيل المغيرة السابحة التي تكابد وتنزع في أعنتها حتى تنهي الحرب، وتدبر أمر الظفر والغلبة.[٥]

– ثم يستحضر لهم في المقابل واقعاً آخر من الغيب الذي يرفضونه ولا يؤمنون به ، ويمثل لهم ما يحدث فيه من هزة عنيفة تغير الثابت من نظام الكون.

١- سورة النازعات الآية (٤٢- ٤٦)

٢- مصطفى صادق الرافعي،ص١٧٤ مصدر سابق.

٣-صلاح عبد الفتاح الخالد،نظرية التصوير الفني عند السيد قطب، ص٩٦.

٤- إبراهيم جنداري، الإيقاع في القصة القرآنية، ص١٩٧.

٥- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص ١١٩

– ثم يأخذ بهم ثانياً في الماضي وفي الحاضر، فيما يسمعون من قصص الغابرين وفيما يرون من آثارهم الدارسة أمامهم.

– ويعود بعد ذلك إلى القضية الأم والمسألة الأصل، يوم القيامة فيصف مآل الناس فيها إلى نعيم مقيم أو عذاب خالد، ويختم بالسؤال عن موعد هذا اليوم وعن ترقبه الداهم، وخفاء ذلك على كل البشر حتى المصطفى ﷺ.[١]

أما لحن السورة وهو مجموع النغمات بمفاتيحها وفواصلها في حالات ارتفاعاتها وانخفاضاتها فإنه يعتمد على لونين من الإيقاع:–[٢]

أولهما:

إيقاع هادئ بطيء هو اللون الثانوي كما في الجملة الثانية.

ثانيهما:

إيقاع شديد بارز هو النغمة الرئيسة، ويبدو في حدة كلماته وشدة نبراته ممثلاً في (النزع والغرق، والراجفة، والرادفة، والزاجرة، والطامة، وطغى، وبرِّزت، والجحيم) [٣]ويتم الانتقال من نغمة إلى نغمة، أو من جملة إلى جملة ضمن الإيقاع العام، ويجمعها جميعاً صور من صور التعانق أو التآلف التي تسري فيها حركة واحدة رغم تموجها، هي حركة الإيقاع وحركة الصورة وحركة الكون الخارجي وحركة النفس الداخلية'[٤]وهي حركات تقوم على الرجف والوجف والاضطراب، وتكون النتيجة أن القلب البشري يحس في ذاته آثار الزلزلة والهول ويهتز هزة الخوف والوجل، ويتهيأ لإدراك ما يصيب القلوب يوم الفزع الأكبر من ارتعاش لا ثبات معه وبذلك يصل القرآن إلى مقصده، فهذا المصدر الأول لإيقاع القرآن

١- إبراهيم جنداري، الإيقاع في القصة القرآنية، ص١٩٧.

٢- المثل السائر، ص ١٥٧.

٣- د. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم، ص١٧٥.

٤- المثل السائر، ص١٥٨.

متمثلاً في إيقاع النص يتجلى واضحاً لكل من عاش القرآن واستلهم روحه وأرهف السمع لنغماته.[1]

إن مدار الإعجاز القرآني هي الأصوات المتجانسة المتناسقة في الإيقاع، الذي يبرز من خلالهتأثير هذا الكلام وهو مجرد دون ما حاجة إلى أداء رفيع، وكلما زاد تحسين الصوت، كان أكثرإيقاعا في نفوس سامعيه وبه يتم تطرية القلوب وتطريبها، ومحل هذا جمال لغة القرآن وطبيعةالصوت، ثم يزدان بحسن القراءة على لسان من أتي صوتا جميلا، فالصوت الرقراق الشجي يظهراللغة الجميلة المعجزة في التركيب والتأليف والإيقاع في كتاب الله عز وجل.

١- المثل السائر ، ص١٥٩، مرجع سابق.

الخاتمة

تبيّن الآيات بالإشادة بكتاب الله الّذي أنكره الكفار عنادا واستكبارا من دون حجّة ولا دليل، ثمّ تلفت انتباه هؤلاء الجاحدين إلى الكون العظيم البديع وخالقه العليّ القدير، وفي آخرها إشارة لتثبيت الله قلب رسوله بما أنزله عليه من آيات، فهو الرّسول المبعوث والمكلّف بدعوة البشريّة إلى توحيد الله عن طريق الترغيب والترهيب[1].ففاصلتها النون والميم المسبوقتان بحرف مدّ تثير الشعور بالمتعة والإحساس بالجمال.

يتّضح من تحليل الآيات القرآنية صويتّا، أنّها ذات سلاسة نطقية تستهوي الألسنة، تكتسبها من وفرة الأصوات اللّغوية السهلة النّطق فيها، التي تتمتّع بملامح لا تتطلّب جهدا عضليّا كبيرا في النّطق، كالانفجار، والجهر. ومن هذه السلاسة النطقية، تكتسب هذه الآيات القرآنية موسيقى لغوية لافتة جذابة، إلى جانب كثرة الأصوات اللّغوية المتميّزة الجرْس فيها.

ولم يكن ذلك الأثر الّذي تحدثه العناصر الصّوتيّة في هذه الآيات، ليكون على حساب المعنى؛ فقد تبيّن كيف تسعى هذه العناصر بما تتركه من أثر إلى خدمة المضمون في كلّ آية؛ فتجد الأصوات اللّغوية، تسخّر جروسها الموحيّة، ودلالتها، في سبيل دعم المعنى؛ فالمعنى تخدمه عناصر هذا التعبير الصوتي، بما تحققه من أثار.

وبالنسبة لعوائق هذا البحث، فقد تمثّلت في قلّة المراجع بالدّراسات الصّوتيّة، خاصّة في الجانب التطبيقّي؛ إذا اقتصرت في تحليلها للنصوص القرآنية على النّاحية الأسلوبية، إلاّ أنَّ هذه العقبات وغيرها زادتني في بلوغ غايتنا الأسمى وهي خدمة للقرآن الكريم.

وأخيرا لا أزعم أنّني وفيت هذه الآيات حقّها من هذا التحليل، لكنّني من خلال هذا الجهد المتواضع الّذي قمت به، توصّلت إلى الأنموذج الصّوتيّ الأمثل.

ولقد حرصنا على أن تكون الغاية من هذه الدّراسة خدمة اللّغة بصفة عامّة، وكتاب الله تعالى بصفة خاصّة، لذلك عمِلنا على رصد أثر الدّلالة الصوتّية من مقاطع وتنغيم وفواصل

[1]- نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنابرة،جدة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ٤٠٢ .

في القرآن الكريم، فالحديث عن موضوع الأصوات اللّغويّة في القرآن الكريم هو حديث عن المتعة اللّغوية.

ونتوجّه إلى المولى عزّوجلّ متوسلين إليه أن يتّم علينا نعمته، ولا يحرمنا هدايتها، وأن يرفعنا بالقرآن أعلى عليين، آمين؛

أمّا الأساتذة الأَفاضل أعضاء اللّجنة المناقشة فمهما طال شكرهم فلا أبلغ ما يستحقون؛ لما لهم من فضل العلماء في تقويم الرّسالة، ولما تحمّلوه من عناء وبذلوه من جهد مُنذ قبولهم الدّعوة أوّلا وقراءتهم للبحث ثانيا ، ثم الجهود منهم بإبداء الملاحظات التي سأحملها أوسمة أفتخر بها لأنّها من أساتذة جعلوا البحث منزها عمّا لا يليق به ، فهم بعد الله تعالى شُعلة تنير درب طالب العلم، فجزاهم الله خير الجزاء.

هذاالبحث الذي لا أزعم أنّه كاملاً، فالكمال لله وحدهُ ، وحسبي أنّي ما بذلت جهداً مقتدراً ، فإن كنت كذلك فالحمد لله، وإن كانت غير ذلك فيشفع لي أنيّ بشر، وكم كان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانّي(ت٥٢٩هـ) بليغا حين قال:" إنّي رأيت أنّهُ لا يكتب إنسانٌ كتاباً إلاّ في غده : لو غُيّر لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل ولو تُرك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

فسبحان من تفرّد بالكمال، وتنّزه عن النّقص، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

النتائج

و أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة الآتي:

١. للاشتقاق دور مهم في معرفة الكلمات الأصيل منها والدخيل في لغة العرب.
٢. صلة الأصوات بالدلالة ظاهرة واضحة في اللغة العربية.
٣. الأصوات في اللغة العربية عنصر أساسي، لا يمكن تجاوزه.
٤. تتوزّع المخارج الصّوتيّة من حيث الهمس والجهر والشدّة والرّخاوة توزيعاً عادلا يؤدي إلى الانسجام بين الأصوات .
٥. للتعريب دوراً مهماً في فهم المفردات المعاصرة؛ لأنه يسهم في تهذيب الكلمات المستهجنة.
٦. إن اللّغويين العرب القدماء والمحدثين قد صنّفوا أصوات اللّغة العربية حسب طريقة النّطق، ويلحظ أنّ التصنيف قائم على خلاف بينهم في التسميات وعدد مخارج الحروف، كما أنّ تصنيف الأصوات اللّغوية عند العرب القدماء يعتمد على السّمع والنّطق، أمّا عند المحدثين فيقوم على الاستعانة بالوسائل الآلية المتطوّرة.
٧. لا تعرف الألفاظ القرآنية المتنوعة الدّلالة إلاّ عن طريق الصّوت ودلالته، فالقرآن الكريم اختارها بدقّة لتدلّ على مقاصده في كلّ سوره وآياته.
٨. يفضي التنوع مابين المقاطع إلى تنوّع صّوتيّ، يثرى النّص بدلالات أكثر عمقاً وفاعليّةً.
٩. من الخصائص التي تتفرّد بها اللّغة العربية أنّ الزّيادة في قوّة الصّوت وجهره تستدعي قوّة في الدلالة.
١٠. لبعض الأصوات أثر في دلالاتها من حيث إكسابها القوّة أو الضعف، أو غير ذلك من الصّفات التي تّتصف بها الأصوات.

١١. شكّلت الظواهر الصوتيّة مظهرًا صوتيًا كشف لنا عن مدى جمال الآيات القرآنية في بنائها الصّوتّي.

١٢. التنغيم وسيلة لتمييز الأساليب اللّغويّة وتنوع دلالاتها بين التعجب والاستفهام والإخبار.

١٣. يُعد التنغيم والإدغام... من الفونيمات الثانوية التي تؤدي وظائف تعبيرية ساهمت في إماطة اللّثام عن بعض المعاني.

١٤. من خلال الدّراسة التطبيقّية جاء العديد من التشكيلات الصوتيّة مناسبًا لمضمون الآيات القرآنية المشكلة لها مناسبة طبيعية في الجهر والهمس، أو الرخاوة والشدّة، أو الإطباق والانفتاح ...

فهرس الآيات الكريمة

السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة		
﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ ﴾	١٤٨	٩٨
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾	٢١٠	٩٩
آل عمران		
﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾	٢٠	١٠٠
النساء		
﴿**أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ** ﴾	٤٣	٦٢
المائدة		
﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾	٩١	٩٩
هود		
﴿ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾	٨٧	١٠٠
يوسف		
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	٢	١
﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا ﴾	٩١	٩
﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾	٧٤	١٠٢
النحل		
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾	١٠٣	١
الإسراء		
﴿ۖلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾	٢٣	٤٢
الكهف		

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾	٩	٦١
﴿أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾	٩	٦٦
﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾	١٠٣	٩٩
طه		
﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي ﴾	٨٤	٩
﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾	٧٧	١٠٦
الأنبياء		
﴿ أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾	٦٢	١٠٠
الحج		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾	١١	١٣
الفرقان		
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾	٤٥	١٠٠
الروم		
﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾	٥٠	٨
لقمان		
﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾	١٩	١٠
الصافات		
﴿ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾	٧٠	٩

﴿ أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾	٨٦	١٠٠
الزمر		
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾	٩	١٠٠
غافر		
﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾	٢١	٨
الأحقاف		
﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾	٤	٨
﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾	٤	٩
ق		
﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾	٣٠	٩٩
الحديد		
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾	٢٧	٨
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾	١٦	١٠٠
الحشر		
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾	٩	٩
نوح		
﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾	٢٨	٩٨
الإنسان		
﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾	١٨	٦٥
﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾	١	٩٨
النبأ		
﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴾	١	٩٨
النازعات		

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا *وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا*وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا *فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا *فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾	١-٥	٨٣
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ *تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ *أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ *يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ *أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً *قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ *فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	٦-١٣	٨٥
﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا *رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا *وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا *وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا *أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا *وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾	٢٧-٣٢	٨٨
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا *فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا *إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا *إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا *كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾	٤٢-٤٦	٨٩
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾	٦	٨٩
﴿ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا *وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا *فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾	٢-٤	٩٠
﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا *فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾	٤-٥	٩١
﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا *وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾	٢٩-٣٠	٩١
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾	٦-٧	٩١
﴿ قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة ﴾	٨-٩	٩٢
﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى*وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾	٣٥-٣٦	٩٢
﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى *اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾	٣٢-٣٣	٩٢
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾	٤٣	٩٨
﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾	١٥	٩٩
﴿ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴾	١٨	٩٩

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً *وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً ﴾	١-٥	١١٤
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ* يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾	٦-١٤	١١٤
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى* فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾	١٥-٢٦	١١٤
﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا *مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾	٢٧-٣٣	١١٤
﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى* وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى* فَأَمَّا مَن طَغَى*وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى*وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	٣٤-٤١	١١٥
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا* كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾	٤٢-٤٦	١١٥
المطففين		
﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾	٧	٦٦
الأعلى		

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾	١٦	٩
الفجر		
﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾	٥	٩٩
الضحى		
﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾	٣	٩٨
الشرح		
﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾	١	١٠٠
القدر		
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾	١	٩٧
الزلزلة		
﴿ِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾	١-٣	١٠١

فهرس :الآحاديث

ت	الحديث	رقم الصفحة
١	حديث علي –رضي الله عنه– في صفة الصحابة :" ويخرجون من عنده أدلة "	٧
	"إذا استأثر الله بشيء فاله عنه"	٨

فهرس الاشعار

ت	اسم الشاعر	البيت	رقم الصفحة
١	عروة بن الورد	وقالوا ماتشاء فقلت ألهو **إلى الإصبح آثر ذي أثير	٧

	ابو عبيدة	أني امرؤ بالطرق ذو دلالات ** والدليل الذي يدلك	
	الخليل بن احمد الفرهيدي	ياويح قلبي من دواعي الهوى**إذا رحل الجيران عند الغروب اتبعهم طرفي وقد أزمعوا**ودمع عيني كفيض الغروب بانوا وفيهم طفلة حرة **تفتر عن مثل أقاحي الغروب	

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	أ
الأهداء	ب
الشكر	ج
المستخلص البحث	د
Abstract	هـ
مقدمة البحث	١-٥
الفصل الأول: الصوت	
المبحث الاول :تعريف الأثر لغة واصطلاحاً	٧- ٩
المبحث الثاني: مفهوم الصوت والحرف والفونيم	١٠- ١٨
المبحث الثالث: كيفية حدوث الصوت اللغوي	١٩- ٢٨
المبحث الرابع : مخارج الأصوات	٢٩- ٣٤
الفصل الثاني: علم الدلالة	
المبحث الأول: مفهوم الدلالة.	٣٦-٤٦
المبحث الثاني: أنواع الدلالة.	٤٧ - ٥٦
المبحث الثالث: تطور الدلالة	٥٧- ٧٢
المبحث الرابع :التغير الدلالي	٧٢- ٧٦
الفصل الثالث: أثر الدلالة الصوتية في سورة النازعات	
المبحث الاول: أثر الدلالة الصوتية للمقاطع	٧٨- ٩٠
المبحث الثاني: أثر الدلالة الصوتية للتنغيم	٩٠- ١١٠
المبحث الثالث: تطبيقات عن أثر الدلالة الصوتية	١١١- ١١٧
خاتمة	١١٦
أهم نتائج البحث	١١٨
فهرس الآيات	١٢٠

فهرس الأحاديث	١٢٥
فهرس الاشعار	١٢٥
فهرس الموضوعات	١٢٧
المصادر والمراجع	١٢٩

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع

١. إبراهيم أنيس . دلالة الألفاظ . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ط ٣ . ١٩٧٦م.
٢. ابراهيم انيس .موسيقى الشعر .مكتبة الانجلو المصرية ط ٢ ، القاهرة .١٩٧٢م .
٣. إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ .مكتبة الأنجلو المصرية. ط٥. ١٩٨٤م .
٤. إبراهيم بن السري. معاني القرآن وإعرابه للزجاج .تحقيق عبد الجليل شلبي . عالم الكتب . بيروت ط١ . ١٩٨٨م
٥. إبراهيم السامرائي . دار الشؤون الثقافية .منشورات وزارة الثقافة والأعلام. ١٩٨٤م.
٦. ابن قتيبة . تأويل مشكل القرآن . القاهرة ط١ . ١٩٦٦م.
٧. ابن منظور . لسان العرب . دار صادر . بيروت ١٩٦٨م.
٨. أبن هشام عبد الله يوسف .مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب .تحقيق مازن مبارك ومحمد على حمد الله .دار الفكر.ط٣. بيروت . لبنان . ١٩٧٢ م.
٩. أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس. مقاييس اللّغة .دار الجيل. بيروت . ط٢.لبنان.١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٠. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة.تحقيق عبد السلام حمد هارون . ط١ .اتحاد الكتاب العرب. (١٣٢٣هـ ٢٠٠٢ م) .
١١. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد . المقتضب .تحقيق محمد عبد الخالق عطية .وزارة الأوقاف . مصر .١٩٩٤م.
١٢. أبو الفتح عثمان بن جّنّي . سرّ صناعة الإعراب .تحقيق حسن هنداوي . دار القلم . ط١ . دمشق . سوريا . ١٩٨٥ م.
١٣. أبو القاسم الزجاجي الإيضاح في علل النحو.. تحقيق مازن مبارك .دار النفائس .ط٤ . بيروت . لبنان . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م.
١٤. أبو القاسم شهاب الدين المعروف بأبي شامه.إبراز المعاني من حرز الأماني .تحقيق إبراهيم عَطوه عَوض . دار الكتب العلمية.بيروت . لبنان. (د.ط)/ (د.ت)

١٥. أبو بكر الزبيدي . لحن العوام . تحقيق د. رمضان عبد التواب . القاهرة ١٩٦٤م.
١٦. أبو حاتم الرازي . الزينة في الكلمات الإسلامية . القاهرة . ط٢ . ١٩٥٧م.
١٧. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي .كتاب العين . تحقيق د مهدي المخزومي . د.إبراهيم السامرائي . دار الشؤون الثقافية .منشورات وزارة الثقافة والأعلام. ١٩٨٤م.
١٨. أبو علي بن سينا . أسباب حدوث الحروف .تحقيق . محمد الطيّان . مطبوعات مجمع اللغة العربية. ط٣. دمشق .سوريا.١٩٨٣م .
١٩. أحمد بن فارس . الصاحبي في فقه اللغة . القاهرة. ١٩٧٧م.
٢٠. أحمد حساني . مباحث في اللسانيات . (د.ط) .ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر . ١٩٩٤م.
٢١. أحمد مختار .البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب . دارالثقافة . ط٣.لبنان. ١٩٧٢م .
٢٢. أحمد مختار عمر . علم الدلالة . دار العروبة . الكويت ط ١ . ١٩٨٢م.
٢٣. أحمد مختار عمر . أسس علم اللغة. ترجمة ماريو باي .عالم الكتب . (د.ط) .القاهرة .مصر . ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٢٤. أحمد مختار عمر . دراسة الصّوت اللغوي .عالم الكتب .(د.ط). القاهرة . مصر . ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٥. الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري . معجم الصحاح .دار المعرفة .ط٢ .بيروت . لبنان . ٢٠٠٧م .
٢٦. أيوب بن موسى أبو البغاء الكفوي . معجم المصطلحات والفروق اللغوية . مؤسسة الرسالة بيروت .١٩٩٣م.
٢٧. بدر الدين الزركشي . البرهان في علوم القرآن . القاهرة .ط١ . ١٩٥٧م.
٢٨. تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب.(د.ط). مصر . ١٩٧٩ م.
٢٩. جلال الدّين بن عبد الرحمان السّيُوطي . همع الهوامع .تحقيقعبد العال سالم مكرم . دار البحوث العلميّة .(د.ط) . الكويت ١٩٧٩م .

٣٠. جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي. الأشباه والنظائر. دار الكتب العلمية . ط١ . بيروت . لبنان . ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م.
٣١. جوزيف فندريس . اللغة . مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة . ١٩٥٠م.
٣٢. حاكم مالك لعيبي . الترادف في اللغة . بغداد ١٩٨٠م.
٣٣. حامد عبد الغفار هلال . أصوات اللغة العربية .مكتبة وهبة. القاهرة . مصر . ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
٣٤. حسام بهنساوي . علم الأصوات. مكتبة الثقافة الدينية .ط١. القاهرة .مصر .١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٣٥. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن . دار المعرفة، ط٩ .بيروت.١٤١٣هـ .
٣٦. خليل إبراهيم العطية . البحث الصوتي عند العرب .منشورات دار الجاحظ .(د.ط) . بغداد . العراق. ١٩٨٣م.
٣٧. رابح بوحوش . البنية اللّغوية لبردة البوصيري .ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر . ١٩٩٣ م .
٣٨. الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن . مكتبة الأنجلو. ١٩٧٠م
٣٩. رمضان عبد التواب . التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه . القاهرة ١٩٨٣م.
٤٠. رمضان عبد التواب .المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي .مكتبة الجانجي .ط٣. القاهرة . مصر . ١٩٩٧ م.
٤١. ريمون طحان . الألسنية العربية. دار الكتب اللبناني . بيروت . لبنان . ١٩٨١ م.
٤٢. الزمخشري (محمود بن عمر) . أساس البلاغة . دار صادر . بيروت ١٩٧٩م.
٤٣. ستيفن أولمان . دور الكلمة في اللغة. ترجمة د. كمال بشر . القاهرة ١٩٧٥م.
٤٤. سوسور . علم اللغة العام . ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز . بغداد ١٩٨٦م.
٤٥. السيوطي . الإتقان في علوم القرآن . المكتبة العصرية . بيروت ١٩٨٨م.
٤٦. السيوطي . المزهر في علوم اللغة وأنواعها . القاهرة . ١٩٥٨م.
٤٧. الشريف بن الحسين الجرجاني الحنفي. محمد باسل عيون السود. وضع حواشي وفهارسه .دار الكتب العلمية بيروت .ط٣ . لبنان. ٢٠٠٩م.

٤٨. الطبري. جامع البيان في تفسير القرآن(تفسير الطبري) . تحقيق محمود شاكر . دار المعارف . د.ت.جمهرة اللغة . لابن دريد . الهند ١٣٥١هـ.
٤٩. عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني.ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة . دار القلم . ط٣ . دمشق .١٩٨٨م .
٥٠. عبد العزيز مطر . علم اللغة وفقه اللغة . قطر. ١٩٨٥م.
٥١. عبد القادر أبو شريفة. علم الدلالة والمعجم العربي .دار الفكر . ط١.عمان. ١٩٨٩م.
٥٢. عبد القادر عودة.التشريع الجنائي الإسلامي. دار إحياء التراث العربي. ط٤ . بيروت. ١٩٨٥م .
٥٣. عبد القاهر الجرجاني . أسرار البلاغة . تحقيق محمد رشيد رضا . ط ٤ . دار المنار.
٥٤. عبد الوهاب القرطبي. الموضح في التجويد.تحقيق غانم قدور الحمد . دار عمان . ط١ . الأردن . ١٩٩٨م.
٥٥. عبد الفتاح إبراهيم. مدخل في الصوتيات. دار النشر . تونس (د.ت).
٥٦. عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . البيان والتبيين .تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي .(د.ط). القاهرة .مصر. ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
٥٧. علي بن محمد بن علي الجرجاني . التعريفات. تحقيق إبراهيم الأبياري . دار الكتاب العربي. ط١. بيروت . ١٤٠٥هـ .
٥٨. علي عبد الواحد وافي . علم اللغة . القاهرة . ط٧.
٥٩. عودة خليل أبو عودة. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن . الناشر مكتبة الأردن عام ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٦٠. فايز الداية . علم الدلالة العربي . الجزائر ١٩٨٨م.
٦١. قدور أحمد محمد . مبادئ اللسانيات. دار الفكر . دمشق. سوريا. (د.ط).١٩٩٦م.
٦٢. كاصد الزيدي . الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي. مقال مجلة آداب الرافدين . كلية الآداب.جامعة الموصل. العدد ٢٦ . سنة ١٩٩م.
٦٣. كمال بشر . علم الأصوات. دار غريب .(د.ط). القاهرة ٢٠٠٠ م .

٦٤. المبارك بن محمد بن الأثير الجزري . النهاية في غريب الحديث والأثر .تحقيق طاهر الزواوي ومحمود محمد الطناحي.دار الكتب العلمية . بيروت. ١٣٩٩هـ .
٦٥. مجاهد بن جبر المكي . تفسير مجاهد . قطر . ط١ . ١٩٧٦م.
٦٦. محمد الأنطاكي .الوجيز في فقه اللغة .دار العربي. ط٤. بيروت. لبنان.(د.ت).
٦٧. محمد المبارك . فقه اللغة وخصائص العربية . دار الفكر . بيروت ١٩٧٢م.
٦٨. محمد بن أحمد (القرطبي) . الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) بيروت . ط٢.
٦٩. محمد بن يعقوب الفيروزي ابادي .القاموس المحيط . تحقيق يحيى مراد . مؤسسة المختار. ط٢. القاهرة . ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
٧٠. محمد حسين آل ياسين.الأضداد في اللغة. مطبعة المعارف. ط١. بغداد .١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٧١. محمد عادل شوك . علم البيان التطبيقي . صنعاء . ط ٢ . ٢٠٠٢م.
٧٢. محمد علي الصابوني . صفوة التفسير . دار القرآن الكريم . ط٤. بيروت . لبنان. ١٩٨١ م .
٧٣. محمد مرتضى الزبيدي . تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت ١٩٦٥م.
٧٤. محمود السّعران .علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . دار النهضة العربية .(د.ط) . بيروت . لبنان (د.ت).
٧٥. محمود السعران.اللغة والمجتمع .دار المعارف. ط ٢. الاسكندرية . ١٩٦٣م.
٧٦. محمود فهمي حجازي . الأسس الدلالية في تحليل النصوص العربية. بحث منشور ضمن كتاب النصوص الأدبية دراسة وتحليل . قطر . ط١ . ١٩٨٣م.
٧٧. معمر بن المثنى. مجاز القرآن لأبي عبيدة القاهرة . ط١ . ١٩٥٤م.
٧٨. مناف مهدي محمد الموسوي .علم الأصوات اللّغوية. عالم الكتب . ط١ . بيروت . لبنان ١٩٩٨م .
٧٩. منقور عبد الجليل .علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي .منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، ٢٠٠١ م.
٨٠. مهدي السامرائي . المجاز في البلاغة العربية . دار الدعوة . حماة ط١. ١٩٧٤م.

٨١. موفق الدّين بن يعيش. شرح المفصل. (٦٤٣هـ) . عالم الكتب . (د.ط). بيروت . لبنان. (د.ت).
٨٢. نور الهدى لوشن . مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي . دار الفتح . القاهرة.٢٠٠٨م